



اللغة العربية بأسبوط

المجلة العلمية

أثر الإسلام عند الشعراء النصارى فى المهجر {الشاعر القروى نموذجاً}

دكتور

سيد أحمد عبد الرحمن محمد أبو عليو

مدرس الأدب والنقد فى كلية اللغة العربية بجرجا

جامعة الأزهر

(العدد التاسع والعشرون – الجزء الثالث نوفمبر ٢٠١٠)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد .

فلأدب المهجرى عربى الأرومة ميراثا ولغة ، حملة ناشئة عرب فى ثنايا جوانحهم وهاجروا به إحساسا وفكرا وثقافة .

هذا الأدب الرائع لا يزال حقلاً خصبا للدراسات الأدبية على الرغم من كثرة الدراسات التى كتبت حوله مع تعدد مناهجها ، وتشعب توجهاتها .

ومن هنا أردت أن أدلو بدلوى المتواضع فى الاعتراف من هذا الأدب ، وأن أبرز سمة فى أدب المهجرين تتمثل فى بيان أثر الإسلام لدى شعرائهم النصارى ، متخذنا من الشاعر القروى - رشيد سليم الخورى - نموذجاً يحتفى به فى هذا المضمار .

ولقد كانت النظرة غير المتأنية من بعض الباحثين - فى أثر الإسلام عند الشعراء النصارى فى المهجر - من أقوى الأسباب التى دفعتنى إلى اختيار هذا البحث ؛ لأن المهجرين لم يأخذوا حظهم من الدراسة فى هذا الجانب (أثر الإسلام فى شعرهم) .

كما دفعنى إلى اختيار هذا البحث شئ آخر ، وهو أننى أردت أن أبين سماحة الإسلام فى تعاليمه ، ودعوته إلى احترام الحقوق الإنسانية ، ومعاملة غير المسلمين معاملة كريمة ؛ حيث إن هذا جعل الكثير من الشعراء النصارى فى المهجر يتأثرون به فى أشعارهم ، وفى هذا دليل على عظمة الإسلام وتأثيره حتى فى غير معتنقيه .

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث تعقبها الخاتمة والفهارس .

أما **المقدمة** فتناولت فيها أهم أسباب اختيار البحث .

والتمهيد ضم بين جوانحه إشارة عجلية تبرز تأثير المهجرين بالفكر الإسلامى ، كما تبرز تأثير الإسلام فى كثير من الشعراء النصارى فى المهجر .

والمبحث الأول : قد دار حول حياة الشاعر القروى ونشأته ووفاته وآراء النقاد فيه .

والمبحث الثانى : تناولت فيه أثر الإسلام فى مضامينه الشعرية .

والمبحث الثالث : جعلته لبيان أثر الإسلام فى سماته الفنية .

والخاتمة : أوجزت فيها أهم نتائج البحث ، ثم الفهارس .

وبعد فهذه دراسة لا أدعى لها الكمال ، ولا الاقتراب منه ، ولكنى أراها خطوات فى طريق راشد تضاف إلى جهود الباحثين فى ميدان الأدب المهجرى ، علنا من بعد نواصل الخطأ ونتبع الهداه ، وتكون مسيرتنا باسم الله فى الأدب والفكر والحياة .

د / سيد أحمد عبد الرحمن أبو عليو

مدرس الأدب والنقد

فى كلية اللغة العربية بـ بـ بـ

تمهيد :

ترجع حركة الأدب المهجرى إلى أواخر القرن التاسع عشر حين نزع الكثير من أدباء وشعراء البلاد العربية إلى أمريكا والدول الأوروبية ، وهؤلاء الأدباء والشعراء ينتمون إلى أكثر من بلد عربى ، فمنهم اللبنانيون والسوريون والحجازيون والمصريون ، كما أنهم ليسوا أبناء عقيدة واحدة ، فمنهم المسلمون والمسيحيون ، إلا أن أغلبهم كان من النصارى .

ومن اللافت للنظر أن الدارس لشعر شعراء المهاجر ، يجد ظاهرة التسامح الدينى واضحة فى أشعارهم ، ويعلل بعض الباحثين ^(١) وضوح هذه الظاهرة فى شعرهم باتساع مفهوم الحرية الدينية فى العالم الجديد الذى هاجروا إليه .

ولكن وضوح هذه الظاهرة فى شعرهم تجعلنا نعيد النظر فى قضية اختلاف حولها بعض الباحثين ، وهى تأثير المهجرين بالفكر الإسلامى ، فمنهم من ينكر تأثيرهم وحقته أنهم " لم يطلعوا على المصادر الأولى لهذه الثقافة وذلك لعقيدتهم المسيحية التى حالت بينهم وبين التعمق فى هذا الفكر واتجهوا إلى كتب الديانات الهندية القديمة وتأثروا بها فى اتجاهاتهم الفكرية " ^(٢) .

وأغلب الباحثين يثبت تأثيرهم بفكر المسلمين ، والنصوص الأدبية هى الدليل القاطع والفيصل فى هذه القضية ، وكذلك الاعترافات الشخصية لها دور لا ينكر فى حسم أمثال هذه الأمور .

يقول " جبران " : " أنا مسيحي ، ولى الفخر بذلك ، ولكننى أهوى النبى

(١) مراجع : قصة الأدب المهجرى للدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجى : ٢ / ١٩ ، ٦٥ ، ٦٧ بتصرف .

(٢) من مقال للدكتور / صابر عبد الدائم ، منشور بمجلة الأزهر ، عدد ربيع الأول ١٤٠٢هـ ، ديسمبر ١٩٨١م .

العربي وأحب مجد الإسلام وأخشى زواله ، إننى أسكن المسيح شطرا من حشاشتي ، ومحمدا الشطر الآخر " (١) .

ورتل القروى القرآن قائلا : " ويل لكم أيها المسلمون ، أتدل أمة بين يديها هذا الكثر الثمين ، ويستعمر شعب يملك هذه القوة والعظمة " (٢) .

بهذه الروح السمحة كان مسيحيو المهاجر ينظرون إلى الإسلام ، وقد عبر الشاعر " رشيد أيوب " عن ذلك بقوله :

فمن يا ترى أعلى الورى كمحمد .: وأرفعهم مجدا وأسمى مناقبا (٣)
وللشاعر القروى أكثر من قصيدة في الرسول محمد (ﷺ) ، فها هو ذا يحتفل بذكرى المولد النبوى فيقول :

عيد البرية عيد المولد النبوى .: في المشرقين له والمغربين دوى
عيد النبى بن عبد الله من طلعت .: شمس الهداية فى قرآنه العلوى
بدا من القفر نورا للورى وهدى .: يا للتمدن عم الكون من بدوى
يا صاحب السيف لم تفلل مضاربه .: اليوم يقطر ذلا سيفك الدموى
يا فاتح الأرض ميدانا لقوته .: صارت بلادك ميدانا لكل قوى
يا حبذا عهد بغداد وأندلس .: عهد بروحى أفدى عوده وذوى
من كان فى ريبة من ضخم دولته .: فليتل مافى توارىخ الشعوب روى
يا قوم هذا مسيحى يذكركم .: لا ينهض الشرق إلا حبنا الأخوى

(١) ينظر : التجديد فى شعر المهجر ، محمد مصطفى هدارة ، ص ١٢٣ ، ط القاهرة ١٩٥٧ م .

(٢) قصة الأدب المهجرى ، ص ١١ .

(٣) ديوان الأيوبيات ، ص ٣٧ ، ط نيويورك ١٩١٦ م .

فإن ذكرتم رسول الله تكمرة ∴ فبلغوه سلام الشاعر القروى (١)

ويخاطب " رياض المعلوف " الرسول محمدا (ﷺ) قائلا :

يا نبي الأعراب والإسلام ∴ عيدك اليوم بهجة للأنام
 أنت يا صاحب الرسالة فخر ∴ أنت أهل للمدح والإكرام
 تنثر الحكمة البليغة شعرا ∴ عريبا يطيب للأفهام
 علم الدين في يديك تعالى ∴ في الذرى وهو قبلة الأعلام (٢)
 وبدافع من الشعور الإنساني والاعتزاز بحضارة الإسلام يقول إلياس فرحات:
 غمر الأرض بأنوار النبوة ∴ كوكب لم تدرك الأرض علوه
 لم يكد يلمع حتى أصبحت ∴ ترقب الدنيا ومن فيها دنوه
 إن في الإسلام للعرب علا ∴ إن في الإسلام للناس أخوة (٣)
 ويشارك الشاعر " إلياس عبد الله طعمة " شعراء المهجر في الالتفات إلى
 الرسول (ﷺ) بقصائده المشرقية والمغربية والأموية والبغدادية والأندلسية، وغيرها
 من القصائد التي يمدح فيها الرسول (ﷺ) فيقول في نهاية قصيدته الأندلسية :
 يا أحمد المرتضى والمرتجى أبدا ∴ ألت من سطوات الروح تحمينا
 يا أرفع الناس عند الله منزلة ∴ متى نرى السيف مسلولا ليشفينا (٤)
 ثم نراه يشير إلى أمجاد المسلمين الأوائل من خلال قصيدته "

(١) ديوان الشاعر القروى ، رشيد سليم الخورى : ١ / ٤٠٠ ، ط دار المسيرة ، بيروت

١٩٧٨ م .

(٢) ديوان غنائم الخريف ، ص ١١٠ ، ط ١٩٧٤ م .

(٣) ديوان إلياس فرحات ، ص ٢٣ ، مطبعة سان باولو ١٩٣٢ م .

(٤) ديوان أبي الفضل الوليد (إلياس عبد الله طعمة) ، ص ١١١ .

الصحابية " التي يتناول فيها رسول الله (ﷺ) وصحابته قائلا :

وكيف أوفى خير من وطئ الثرى .: من المدح حقا والثناء عياء
إلهية أقواله وفعاله .: يقصر عن إدراكها الحكماء
دعا قومه والناس طرا إلى الهدى .: وللأرض منه في الظلام ضياء (١)
وها هو ذا يكاد يسلم أو إن شئت فقل : أسلم فعلا ، نلمس هذا في
قول له :

أعاهد ربى أن أصلى مسلما .: على أحمد المختار من خير أمة
فمن قومه قومي أدين بدينه .: لأنى أرى الإسلام روح العروبة (٢)
هذا ، وقد استقرأت الكثير من نتاج شعراء المهجر ، فوجدت أن النزعة
الإنسانية من أخص سمات الأدب المهجرى ، وهى النظرة إلى المجتمع كله ، نظرة
حب ورحمة ورغبة فى أن يعم الخير للجميع ، ومن ثم نلمح فى أشعارهم الدعوة
إلى إيجاد مجتمع أفضل تسوده القيم والمثل العليا والرغبة فى تهذيب نوازع النفس
الشريرة ، ولا شك أن النزعة الإنسانية ثمرة من ثمرات الدين الإسلامى الحنيف
، يقول إيليا أبو ماضى :

إن نفسا لم يشرف الحب فيها .: هى نفس لم تدر ما معناها
أنا بالحب قد وصلت إلى نفسى .: وبالحب قد عرفت الله (٣)
ومن ذلك قصيدة : " النبى العربى " للشاعر إلياس قنصل ، والتي منها :
إنى ذكرتكَ يا محمد ناشرا .: روح الأخوة فى بنى الإنسان
يعلو بلال العبد أشرف قبة .: ليذيع منها أشرف الألمان

(١) السابق ، ص ١١٣ .

(٢) السابق ، ص ٣٦٣ .

(٣) ديوان إيليا ، ص ٧٨٥ ، ط دار العودة ، بيروت .

حق المواهب أن يقدر أهلها . لا فرق في الأجناس والألوان (١)

ومن هنا فإن الإنسانية في مفهومها العام ، تمثل الحلم الأكبر الذى يراود أخيلة المفكرين والشعراء على وجه العموم والمهجرين على وجه الخصوص الذين تأثروا ببعض مفكرى الإسلام أمثال : ابن سينا ، والغزالي ، وغيرهما ، وكان لذلك التأثير باعث قوى على اتجاههم الإنسانى ؛ لأن " التأثير نافذة تتيح للفكر استشراف آفاق جديدة ، ومعايشة تجارب جديدة " (٢) .

فيشيد جبران بالإمام الغزالي ، ويرصد منهجه في الحياة رسداً ممزوجاً بالدهشة والإعجاب فيقول : " اعتزل الغزالي الدنيا ، وما كان له فيها من الرخاء والمقام الرفيع ، وانفرد وحده متصوفاً متوغلاً في البحث عن تلك الخيوط الدقيقة التى تصل أواخر العلم بأوائل الدين متعمقاً في التفتيش عن ذلك الإناء الخفى الذى تمتزج فيه مدارك الناس واختباراتهم بعواطف الناس وأحلامهم " (٣) .

فمن هذا الأفق الإنسانى الرحيب نظر المهجريون إلى الشعر وعُدُّوه قوة مبدعة عظيمة بوسعها أن ترتقى بوجود الإنسان ، وتفجر في نفسه كل ينابيع الخير والمحبة وتصنع له فجراً من السعادة الدائمة ، وذلك بأن يستشرف غده من خلال معرفته بيومه ، ويحس بذاته من خلال إحساسه بغيره ، ويؤمن بأن الحقد والكراهية والأنانية لا يمكن أن تصنع حياة فاضلة ، أو وجوداً إنسانياً كريماً ، ولكن الحب والتسامح والإيثار وغيرها من المعانى الإسلامية التى يامكانها أن تضع الأسس التى

(١) قصة الأدب المهجرى ، ص ٢٦٤ .

(٢) مقالات وبحوث فى الأدب المعاصر ، د / صابر عبد الدايم ، ص ٦٢ ، ط دار المعارف ، ط

الأولى ١٩٨٣ م .

(٣) السابق ، ص ٦٩ .

يرتفع من فوقها صرح الحياة كما نجب لها أن تكون ^(١) .
وفي ترنيمة شعرية صادقة تنبض بتلك المعاني الإسلامية يقول الشاعر " ندره
حداد " :

يا أخى الساعى لنيل المجد خفف عنك جمحك
أنت لا ترضى سوى نفسك إن أحرزت فتحك
سر معى فى الأرض تنسى المال والجاه وطمحك
أنا راض بالعصا يا أيها الحامل رمحك
وسأرضى خبزك الأسود فى الحب وملحك
وسأنسى جرح قلبى كلما شاهدت جرحك
وأرى ليلك لىلى وأرى صبحى صبحك
وإذا اخطأت نحوى فأنا الطالب صفحك(٢)

فالشاعر يدعو إلى الحب والإيثار والتعاون والتسامح فى تآلف وتوحد
يتلاشى معهما الإحساس بالأناية والذاتية فى رابطة الأخوة الإنسانية الجامعة .
وهذه النزعة الإنسانية المحلقة ، المتعاطفة مع آلام البشر وأحزانهم ،
والهادفة إلى كل ما يحقق لهم الخير والسعادة هى ميدان من الميادين الإسلامية
الواسعة التى آلت فيها عبقریات الشعراء المهجرين ، وأبدعوا فيها ألوانا من
شعرهم الإنسانى العظيم الذى ينبض بالكثير من المعانى الإسلامية السامية .
ولسنا بحاجة إلى تكرار ما سبق أن أوضحناه من أن غلبة هذه المضامين
الإنسانية على شعر المهجرين هى فى معظم أمرها انعكاس واضح لتأثر الكثير منهم

(١) يراجع : حركة التجديد الشعرى فى المهجر بين النظرية والتطبيق ، د / عبد

الحكيم بليغ، ص ١٦٤ ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ م .

(٢) ديوان أوراق الخريف ، ندره حدادة ، ص ١٧ ، ط نيويورك ١٩٤١ م .

بالنزعات الروحية في الفكر الإسلامى ، وإننا لنجد أمثلة رائعة لهذه النزعة الإنسانية المتأثرة بروح الإسلام لدى كثير من شعراء المهجر .
ومن هذا الفيض المتأثر بالروح الإسلامية الذى يملأ الكثير من دواوين الشعراء النصارى في المهجر نجتزئ بعضاً منه ممثلاً في أنموذج لشاعر مهجرى ، وهو الشاعر القروى رشيد سليم الخورى ، الذى يمثل أحد المواهب الفنية الناضجة في المهجر ، والذى يعد شعره في كثير من جوانبه وتجاربه صورة دقيقة لمفهوم الفن الشعري كما أرادت له حركة النقد المهجرى أن يكون .

والله - تعالى - المستعان

المبحث الأول

الشاعر القروى (رشيد سليم الخورى)

حياته ونشأته

يُعد الشاعر القروى - رشيد سليم الخورى - من كبار الشعراء النصارى البارزين في المهجر على الإطلاق ، ذاع صيته في الآفاق ، واكتسب شهرة قوية في كل الأقطار العربية ، لقصائده التي اتسمت بالصدق ، ولروحه الوثابة التي تتجلى فيها روح المجاهد الكبير ، الذى عرف حق وطنه عليه ، وأحس دائما بفضل أمته وعروبته ، واستطاع بوحى من ذلك أن يسمع الدنيا كلها - وهو في مهجره - صوت العربية مدويا كالرعد ، ررقا كالنسيم ...

مولده :

ولد رشيد سليم الخورى في قرية " البربارة " المطلة على البحر المتوسط في لبنان في السابع عشر من شهر نيسان سنة ١٨٨٧م ، وأمه تقلا بنت أسعد بشارة الرحباني ، وأبوه سليم بن طنوس الخورى ، كان شاعرا ، فورث هو وأخوه^(١) عنه حب الشعر .

تلقى تعليمه في مدرسة القرية، وعندما بلغ العاشرة من عمره رغب المعلم إيليا نصار أن يطالع المجلات العلمية والأدبية التي كان يجدها باستمرار على طاولته، وعنى به عناية خاصة ، وصار يكتب له الخطب والأشعار ، فكان

(١) هو : قيصر سليم الخورى (الشاعر المدين) ولد عام ١٨٩١م في البربارة وهاجر هو وشقيقه الشاعر القروى عام ١٩١٣م إلى البرازيل. [ينظر: قصة الأدب المهجرى ، ص ٢٢٦ ، وإتمام الأعلام ذيل الأعلام ، د / نزار أباطة ، محمد رياض الملاح ، ص ٩٨ ، ط دار صادر، بيروت ، ط الأولى ١٩١٩م] .

يستظهرها ويتمرن على إلقائها بصوت عال ، ولما ناهز الثالثة عشر التحق بمدرسة الفنون الأمريكية بصيدا ، ثم بعد أن أنهى دراسته في جامعة بيروت الأمريكية اشتغل بالتدريس مدة سبع سنوات ، وقد ظهر نبوغه الأدبي خلال طلبه للعلم في مراحل الأولى ... (١) .

شاعريته : كان الشاعر القروى من أسرة يجرى في دمها حب الأدب والفن ، ونبع فيها أكثر من شاعر وأديب وفنان (٢) .

وقد برزت الموهبة الشعرية عند القروى بصورة واضحة في " سان باولو " حيث عرفته الأوساط والأندية الأدبية شاعرا مناضلا حتى لقد شغل بالشعر عن وظيفته بالتدريس التي تركها إلى التجارة ليكون أكثر تفرغا ، ثم ما لبثت أعماله التجارية أيضا أن توقفت أو كادت حتى يجد الوقت الكافي والظروف المواتية لنظم الشعر وإلقائه في حفلات الأندية والمجتمعات ...

فهو شاعر ذو شاعرية محلقة، وديباجة متمكنة من اللغة والبيان أى تمكن - كما يقول في مقدمة ديوانه - : " أنظم الشعر في أية ساعة وأى مكان في يقظات الليل، في الشارع، في الحافلة، على المائدة، أثناء الحديث ... في سفراتي ، أو في الحدائق العامة، أو الضواحي الهادئة ... " (٣) .

(١) يراجع : مقدمة ديوان القروى ، ص ١ ، ط دار المسيرة ، بيروت ١٩٧٨ م ، وموسوعة الشعراء العرب المعاصرين ، تأليف نجيب البعيني ، ص ٣٩٤ ، ط دار المناهل ، بيروت ، لبنان ، ط الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م ، وقصة الأدب المهجرى ، ص ٢٢٦ ، والوحدة الوطنية في شعر القروى ، بحث للأستاذ الدكتور / صلاح عبد التواب ، منشور في مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة : ١ / ٤ ، العدد الثانى والعشرون ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م .

(٢) قصة الأدب المهجرى ، ص ٢٢٦ .

(٣) مقدمة ديوان القروى ، ص ٢٤ .

وقد ألهمته ثقافته العربية روائع القصيد، فظهر ديوانه "الرشديات" وهو في مقتبل العمر عام ١٩١٦م ، و " القرويات " عام ١٩٢٢م ، وفي عام ١٩٣٦م ظهر ديوانه " الأعاصير " ، وفي عام ١٩٤٦م ظهرت لامياته الثلاث مطبوعة ، وفي عام ١٩٥٣م ظهر ديوان القروى الضخم يجمع جميع شعره ^(١) .

وللقروى رأى في الشعر سجله في مقدمة ديوانه ، قال : " الشعر أرفع الفنون ، وقد يسمو حتى يدانى مرتبة النبوة ، وللشعر أربابه الموهوبون فلا يغنى في نظمه أن تكون سقراط أو الفيروزأبادى والشاعرية كاللأفماية لا حدود لها ، فكلما تعددت أجواء الشاعر كان أدل على انطلاق روحه ، واتساع مملكته ، وكل ما يقع ولا يقع تحت الحس في هذا الوجود العظيم يستحق أن يكون موضوعا للشعر ... " ^(٢) .

وفي المهجر برز الشاعر القروى بوطنيته الرفيعة ، وبشعره في القومية العربية ووحدة العرب ، ونظم في شعر الوجدان ، وشعر الطبيعة ، وشعر التصوير ، ووصف بره بالأفومة ، وتحدث عن أمانيه الإنسانية وعن مشاعره حديث الشاعر الحكيم ... ^(٣) حتى عد من زعماء المدرسة الكلاسيكية المجددة المعبرة عن الشاعر وانفعالاته وأحاسيسه وتجاربه ، ولا يكاد يجاريه أحد في حسن الديباجة وجمال الأداء ، وروعة التصوير ، ورقة التناول ^(٤) .

(١) تراجع : موسوعة الشعراء العرب المعاصرين ، ص ٣٩٥ ، وقصة الأدب المهجرى ، ص ٥٩٠ .

(٢) مقدمة ديوان القروى ، ص ٢٦ .

(٣) ينظر : قصة الأدب المهجرى ، ص ٦١٠ ، ٦١٩ .

(٤) السابق ، ص ٦١١ .

سبب تسميته بالقروى :

ولهذه التسمية قصة يرويها فيقول : " على أثر صدور ديوانى " الرشديات " راح المرحوم نجيب قسطنطين الحداد يتابع نقده فى جريدته "المؤدب " وذات يوم لقينى فى أحد شوارع سان باولو المرحوم جورج الحداد صاحب " القلم الحديدى " وفى يده عدد من " المؤدب " يلوح به ويقول : " خذ اقرأ ... إنه هذه المرة سلخ جلدك سلخا ... " فتناولت العدد ضاحكا ، ومضيت أتصفح طائفة من النعوت حتى وصلت إلى قوله : من هو هذا الشاعر الـ ... ؟ شاعر جرن الكبة ... الشاعر القروى ؟

ويضيف الشاعر القروى قائلا :

" وعند هذا النعت الأخير وقفت وقد عرتنى لرنته هزة ، ثم طرت إلى أقرب حديقة ، ونظمت قصيدة بعنوان " لعينيك يا لبنان " داعيا فيها الشباب المغترب للتطوع معى فى " الحملة الشرقية " وكنت على وشك التوجه إلى البلاد العربية للانضمام إلى جيش بطل العروبة الخالد الذكر " فيصل بن الحسين " لو لم يقم العراقيلى فى سبيلى صديقى المرحوم نجيب طراد الذى كان من متزعمى الحركة ضنا بى على الموت " (١) .

(١) موسوعة الشعراء العرب المعاصرين ، ص ٣٩٥ .

إيمانه بالله وبحثه عن الحقيقة :

كانت الظاهرة المثيرة للانتباه في حياته وسيرته ، أنه منذ أن شدته مظاهر الكون من حوله ازداد تعلقه بالله واشتد حبه له ..

فيعبر القروي عن هذا الإيمان بقوله : " أو من به تعالى إيمانى بوجودى ، ولن يساورنى الشك حتى أجد من يقنعنى أنى أنا خلقت نفسى ، وأعد بحث العلماء فى : هل الله موجود ؟ أدل على الحماقة من تساؤل بصير فى رابعة النهار : هل فى السماء شمس أم لا ؟ " .

وللقروي شعور دينى ملك عليه حسه ، أشار إليه فى قوله : " لو لم يستجب فيما بعد مزاجى إلى إغراء امرأة - وهى أقوى منافس لله فى قلوب الأتقياء - لما كانت لى عنده خطيئة ، رافقنى هذا الشعور الدينى طيلة حياتى ، فرأيت ظل خالقى يصحبنى أيان رحلت وحللت ، وقد علمتنى التجارب أن لا أمل ولا تعزية إلا به وحده ، وأن لا حب إلا حبه ، ولولا شغفى بجمال وجوده ، ويقينى من رحمته ، وتسليمى لمشيئته ، لانتحرت من زمن طويل " .

ويقول فى تعبه وتدينه : قد أنسى الله حيناً فى بأسائى ولكنى لم أنسه قط فى نعمائى ، فصلايتى مجرد تسبيح وشكر وإعجاب بعظمة الخلق ، واستقواء بذكر الخالق على نزعات نفسى واطمئنان إلى رضاه عنى ، وشعورى بهذا الرضا يمدنى بشجاعة لا تحسب حساباً لخطر مهما عظم ، ويغمرنى بسعادة لا تضاهيها سعادة ، ولو أنى ملكت كنوز الأرض لما صرفت عنى ألما سببه لى لم من إثم حتى أنيب إلى ربى ، ولو أنى فقدت آخر فلس وآخر صديق ، وآخر حبيب وبقي لى عفو الله لكفانى به أملاً يروح عنى ويحيينى " .

وفى حديثه عن مدى تسليمه لله ، وأن الخير كله فيما قدر ودبر سبحانه مهما كان التدبير والتقدير ... يقول القروي : " حسناتى من الله ، ومساوئى منى ،

هكذا اعتقادی ، وما أصابني مصيبة إلا وأحسنت تأويلها ، ففقد مالي تدارك من لطف الله أن أستعمله فيما يؤذيني ، واعتلالى نوع من الاستجمام العقلى ، وتلافى لخطر أكبر أتعرض له فى غدوى ورواحى ، وموتى قبض إلى رحمته فى الظرف الأنسب " (١) .

وانطلاقاً من هذا الإيمان العميق المتغلغل فى نفس القروى ، أخذ شاعرنا فى بحثه وتأملاته فى الكون ، وفى الحياة ، وفى رسالات الله ، فلم يكفه - وهو العربى الصميم - ما وصلت إليه معلوماته ومعارفه التى نشأ عليها وتربى ، بل أخذ يطلب المزيد ليلبى تطلعاته ، وليستجيب إلى نداء صادر من أعماقه ، فهو يحس فى قرارة نفسه أن رسالة أمته أبعد من محيطها القومى ، ولا بد أنها ضمن رسالة إنسانية أشمل وأعم ، ولذا نراه يقول فى مقدمة ديوانه :

" ما كنت حتى قبل أن أولد إلا عربياً صميماً ، ولكن لم تكن لى فكرة سوية عن الرسول العربى ، ولا قرأت كتابه وحديثه ، حتى أتانى فضله على يد الأنسة " نظيرة زين الدين " تكرمتم على سنة ١٩٢٧م بكتابها " السفور والحجاب " فأماطت عن بصيرتى حجاباً من الجهل كثيفاً ، وحلقت بى إلى سماء من تراثنا الروحى لم تكن خطرت لى على بال ، وأى حر يعشق الحق حيث وجدته ، وأديب يهيم بالحكمة وساحر البيان ، لا يجر ساجداً للحديث الشريف ومعجز القرآن ؟ ... فطرت فرحاً باكتشافى وجهرت ياعجائى فى مقال نقلته الأنسة فيما بعد إلى كتابها: " الفتاة والشيخوخة " وشرع يقينى بتفوق أمتى يزداد رسوخاً من ذلك الحين ، ونار حى وحماستى تزداد ذكاء ببرد هذا اليقين ... " (٢) .

(١) مقدمة ديوانه ، ص ١٨ ، ١٩

(٢) مقدمة ديوانه ، ص ٣٣ .

وطنيتته :

للشاعر القروى حس وطنى عميق ، وشعور مرهف بعروبتة ، فلم تظهر
 المشاعر الوطنية عنده فجأة ، وإنما هو الحب العميق للوطن الذى نما معه منذ
 الصغر ، وإذا ما دخلنا فى أعماق الشاعر نرى أن لرشيد عاطفة كبيرة لوطنه
 ولأمتة ، ومن ذلك قوله فى مقدمة ديوانه عند الحديث عن شعوره الوطنى : " أمتى
 أنا مكثرا ، ووطنى أنا مكبرا ، إذا اقتطع ذئاب الاستعمار منه قطعة ، فكأنما أكلوا
 جراحة من جوارحى ، وإذا هدروا عربيا فى لبنان أو تطوان فكأنما شربوا نغبة من
 دمي ، وكأن كل بلد قوى من بلادى ساعدى مفتولا ، وكل شعب خامل فيها
 زندق مشلولا ؛ بل ما أعد ذاتى إلا خلية فى جسد أمتى ، أنا واحد من سبعين
 مليونا من العرب ، كل واحد منهم أنا ، فينبغى أن أحبهم قدر سبعين مليون نفس
 كنفسى ، من افتداهم فكأنما أحيانى سبعين مليون مرة ، ومن خاننى فكأنما قتلنى
 مثلها ، ولذا ترائى أصب جامات غضبى على الظالمين ، والصابرين على الظلم
 بعنف من يدرأ الموت والعار لا عن نفسه فحسب ؛ بل عن سبعين مليون
 نفس " (١) .

بهذا الاعتزاز قابل القروى عروبتة ، وأحبها من كل قلبه ، فهو لا يفتأ يذكر
 وطنه وقومه عشية كل يوم وضحاها فنراه يقول :

صب روى إلى وطنى وقومى	∴	وحامت فى المربع أى حوم
يظل خيال أوطانى أمامى	∴	وعند النوم أبصرها بنوم
وهل أنسى ربوع الشرق يوما	∴	وشمس الشرق تطلع كل يوم (١)

يوم (١)

ولا ينسى القروى أن يؤكد في دعوته لأبناء أمته ضرورة تسيكهم بوحدهم
الوطنية التي كانت مضرب الأمثال في الوئام بين أبناء الوطن الواحد ، حيث لم
يعكر صفوهم تعصب لمذهب أو دين فنراه يقول :

إني على دين العروبة واقف ∴ قلبي على سبحاتها ولساني
إنجيلي الحب المقيم لأهلها ∴ والذود عن حرماها فرقاني
أرضيت أحمد والمسيح بثورتي ∴ وحماستي وتسامحي وحناني
يا مسلمون ويا نصارى دينكم ∴ دين العروبة واحد لا اثنان (٢)

وما أجمل دعوة الشاعر القروى رشيد سليم الخوري لأبناء أمته العربية في
ظل حرصه على تمسكهم بالوحدة الوطنية أن ينبذوا كل خلاف فيما بينهم ، وأن
يكون تعاونهم دائما على ما فيه خيرهم وفلاحهم ، ومن ثم كانت دعوته إلى العناية
بعنصر اللغة العربية بعد أن تأكد له بأن هذه العربية هي أم اللغات وأن لها دورا
كبيرا في تحقيق وحدة أبناء الأمة ، فنراه يقول في شأن هذه اللغة :

" هي اللغة الخصبة الخلاقة المطواع ، لغة أهل الجنة ، اللغة التي اتسعت
لرسالة الرحمن ، اللغة التي ملكت فصحاها ألسنة أفذاذ الأدب العربي وألفت بين
قلوبهم في كل قطر ، بها التفاهم ، وبها الألفة ، وبها الوحدة ، وبها القوة ... كل
عادل إلى العامية عنها إنما هو كافر بها ، وبكم أيها العرب ، كائد لها ولكم ، عامل
على قتلها وقتلكم " (٣) .

(١) ديوان القروى : ١ / ٢٧١ .

(٢) السابق : ٢ / ٥٥٦ .

(٣) السابق ، ص ٣٨ .

ثم لم يلبث القروى أن أهاب بنى العروبة جمعاء أن يحرصوا على الدوام على تعليم القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف وروائع البيان فى هذه البلاغة العربية الفذة حتى يسلم اللسان ويصح البنيان ، وفى ذلك يقول :

" فاعلموا القرآن ، والحديث ، ونهج البلاغة فى كل مدارسكم وجامعاتكم لتقوم بالفصحى ألسنتكم ، وتتقوى ملكاتكم ، ويعلو نفسكم ، وتزخر صدوركم بالحكمة ، وتشرف طروسكم بسحر البيان " (١) .

آراء النقاد فيه :

والشاعر القروى - كما يقول الدكتور / أحمد زكى أبو شادى - : هو العلم الشامخ للشعر القومى فى دنيا العروبة ، وله منزلة رفيعة فى الشعر المهجرى وله الديباجة المتمكنة من اللغة والبيان أى تمكن ، وشعره كلاسيكى فى أبهى حلله العصرية (٢) .

لقد صور الشاعر القروى فى روائع قصائده أمجاد العرب والعروبة باعثا النخوة والحماس والوطنية فى النفوس ، وفى ذلك يقول الشاعر جورج صيدح الأديب المهجرى : " ... هو الذى يعتبر جرح الأمة جرحه ، وبؤسها بؤسه ، لقد دوت صرخاته فى مسمع الأتراك ، وفى مسمع الإنجليز ، وفى مسمع فرنسا ... وفى مسمع أمريكا ... وفى مسمع العرب أنفسهم كلما توانوا فى الجهاد ، أو خضعوا للأجنى ، أو تاجروا باسم الوطنية ... " (٣) .

وتحدث الدكتور / صلاح عبد التواب عن روح القروى الشاعرة السمحة

(١) السابق ، ص ٣٩ .

(٢) يراجع : قصة الأدب المهجرى ، ص ٢٢٦ .

(٣) ينظر : موسوعة الشعراء العرب المعاصرين ، ص ٣٩٣ .

قائلا : " ظل القروى ينشد الشعر متغنيا بأعجاد أمته ينفخ بروح الحماس الفياض في نفوس مواطنيه على امتداد الوطن العربي الكبير ، لا يفرق في دعوته بين مسلم ونصراني " ^(١) .

كما وصفوا الشاعر القروى أيضا بأنه شاعر الوطنية العربية ، يقول الشاعر نظير زيتون عنه : " ولد الشاعر القروى مع أمته في شروقهها وغروبها ومدها وجزرها " ^(٢) .

أما عن المدرسة التى ينتمى إليها القروى فقد أشار إليها الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجى بقوله : " والقروى من زعماء المدرسة الكلاسيكية المجددة المعبرة عن الشاعر وانفعالاته وأحاسيسه وتجاربه ، ولا يكاد يجاربه أحد في حسن الדיباجة وجمال الأداء وروعة التصوير ورقة التناول " ^(٣) .

هذا هو الشاعر القروى الذى جمع إلى رقة الخلق وداعة النفس وصفاءها وعمق الروح وسموها ، ونبل الضمير والوجدان والمشاعر ...

وفاته :

عاد الشاعر القروى من أرض الغربة إلى أرض الوطن عام ١٩٥٨ م ، فاستقبلته دمشق الفيحاء ، واستقبلته أرض العرب استقبال الأم الحنون لابنتها البار الذى طالما كان يحن للقائها ، والذى طالما ردد فيها قوله :

بنت العروبة هيئى كفى . . . أنا عائد لأموت في وطنى
أأجود من خلف البحار له . . . بالروح ثم أضن بالبدن ؟

(١) الوحدة الوطنية في شعر القروى ، أ.د / صلاح عبد التواب ، بحث منشور في مجلة كلية

اللغة العربية بالقاهرة : ١ / ٧ ، العدد الثانى والعشرون ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .

(٢) قصة الأدب المهجرى ، ص ٥٩٤ .

(٣) السابق ، ص ٦١١ .

وبين سورية العزيزة ، ولبنان الجبل العربي الأشم قضى القروى شهورا جميلة
 يقضى فيها إلى ذرى وطنه ، ويلثم ترابه ، ويشم عقب زهرة ورده .
 وفي يناير ١٩٦٠م وصل إلى القاهرة ضيفا على مصر العربية ليشراف على
 طبع ديوانه الذى قررت الدولة طبعه على نفقتها تقديرا منها لجهاده ولكفاحه في
 سبيلها أكثر من ربع قرن قبل اغترابه ، ونحو نصف قرن وهو في المغرب .
 ثم عاد إلى لبنان وبقي فيها إلى حين وفاته فهار الاثنين في ٢٧ آب ١٩٨٤م،
 ودفن في بلدته وبكنه الأمة العربية من المحيط إلى الخليج ، وفقدت به شاعرا من
 أكابر شعرائها ، وعلما من أفذاذ أعلامها ، كان شعره مثالا للفن الرفيع والأدب
 العالى ، وكان تعبيراً صادقا عن أمة بكاملها ، كان رمزا لجيل غاب ، ولمهجريّة
 عاشت قرنا كاملا^(١) .

(١) يراجع : قصة الأدب المهجرى ، ص ٦١٧ ، وموسوعة الشعراء العرب المعاصرين ، ص

المبحث الثانى

أثر الإسلام فى مضامينه الشعرية

أتاحت الحرية الأدبية الفرص سائحة للشعراء النصارى ، وشعراء المهجر
بخاصة للعزف على أوتار القيثارة الفنية العربية التى أخذت ألقاها تتردد فى تطور
وانسجام عبر آفاق الزمان والمكان ، وقد راحت قرائح الكثير من الشعراء
النصارى تنهل بقصد أو بغير قصد من ينابيع الإسلام الفكرية ، وتشقف بثقافة
أبنائه الدينية ، وما يتصل بها من معالم تشهد على توافقهم الفكرى مع معطيات
عصرهم .

وتتجلى لمطالع ديوان الشعر المهجرى آيات بينات من معالم هذا التأثير مما
نرى بعض شواهد فى قراءتنا لديوان الشاعر القروى من نصوص منسجمة وروح
الإسلام فى توحيد الله (ﷻ) والإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العليا ، والدعوة إلى
الاعتداء بالنبي محمد (ﷺ) والتنويه ببعض صفاته وشماله ، واستشراف بعض
أحكامه فى الموت والبعث ، ثم التعرّيج على أقباس نيرة من قصص الأنبياء
 والمرسلين ، وغير ذلك مما ستعرض له فيما سيأتى :

أولاً : تناول بعض الصفات الإلهية

يعد توحيد الله فى ذاته وفى صفاته الكمالية ونفى الصفات السلبية عنه من
أولى العقائد الإسلامية الأساسية ...

ومن ثم نجد كثيراً من الشعراء المسلمين قد تناولوا الذات الإلهية وصفاتها فى
كثير من أشعارهم - وهذا أمر طبعى - .

وكما تناول الشعراء المسلمون الصفات الإلهية للمولى (ﷺ) ووظفوها
بحيث تتواءم مع أغراضهم نجد بعض الشعراء النصارى فى المهجر قد تناولوا هذه

الصفات الإلهية ووظفوها - أيضا - .

والشاعر القروى قد تناول بعض الصفات الواجبة لله - تعالى - في شعره كثيرا ، مما يدل على عمق الأثر الإسلامى في شعره ، فيقول من القصيدة التى يصف فيها ثمرة الليمون ^(١) :

ليمونتي حبيبتى من سالف العهود .: رفيقتى ما عشت فى الغدو والرواح
يستفتح البياح بي فيقبض النقود .: مغتبطا يقول باسم الله يا فتاح
فهنا يذكر القروى اسم الله تعالى في قوله " باسم الله " ويتبعها بالتسمية وبالصفة المعهودة عند افتتاح الأشياء وهى قوله " يا فتاح " ، وقد نص الشاعر القروى على هاتين العبارتين لأنه يصور بائعا في بداية بيع ثمراته ، ولما كان المقام مقام بيع وشراء كان من الملائم أن يذكر الشاعر هاتين الصفتين .
ومن الصفات الإلهية التى ذكرها الشاعر القروى صفة " الغنى " وصفة " الحميد " وذلك فى أبياته التى يتحدث فيها عن رضاه بالمقسوم له من نعمه (ﷻ) فيقول ^(٢) :

أنا راض بنعمة الله فى خلقى .: مضيع فضل الغنى الحميد
وسواء عندى أكنت سعيدا .: فى حياتى أم كنت غير سعيد
فهو متأثر بقوله تعالى : { لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ } ^(٣) .

واختار الشاعر صفتي " الغنى والحميد " اللتين تدلان على الاستغناء وعدم الاحتياج ؛ لأن الشاعر فى مقام التحدث عن نعمة الله سبحانه الغنى عن إذاعة

(١) ديوان القروى : ٢ / ٩٥٢ .

(٢) السابق : ٢ / ٨٥٢ .

(٣) سورة الحج الآية (٦٤) .

فضله بين البشر .

ومن الصفات الإلهية التي أشار إليها الشاعر القروى في شعره صفة " المعطى
" وصفة " المانع " وذلك في قوله ^(١) :

سل الإله إذا نابتك نائبة .: فهو الذى لم يحيب عنده أمل
فإن منحت فلا من ولا صلف .: وإن منعت فلا ذل ولا خجل
فهو يشير في بيته إلى أن الله تعالى هو المؤمل وهو المرجى وهو المانع بلا من
وهو المانع بلا ذل .

ومن الصفات الإلهية التي ذكرها القروى للمولى (ﷺ) أنه يمهل المذنب
حتى يتوب ويرجع عن غيه ، وذلك في قوله من قصيدة يفزع فيها إلى
الله (ﷻ) ^(٢) :

أنا في غربة عن الأهل لكن .: عنك يارب يستحيل اغتراب
زدت حلما حتى حسبتك ترضى .: عن ذنوبى وكم يضيع الحساب
فلك الشكر فى قصاصى فكم من .: خطأ يستفاد منه الصواب
والشاعر فى اختياره لتلك الصفة الإلهية موفق ؛ لأن الله تعالى بلغ من حلمه
على عباده المذنبين أنهم ظنوا أن الحساب قد ضاع ، وأن الله راض عن ذنوبهم
- وهذا توهم - .

ومن الصفات الإلهية التي ذكرها الشاعر القروى صفة " اللطيف " وذلك
حين هنا أحد أصدقائه الذى رزق بغلام قائلا ^(٣) :

هذا ابن عبدك يا لطيف اربأ به .: فى الحق عن غى البيان وعيه

(١) ديوان القروى : ١ / ٢٩٥ .

(٢) السابق : ١ / ٢٣٩ .

(٣) السابق : ٢ / ٧١٠ .

وحد به الإسلام غير مميز ∴ شيعيه في الحب عن سنيه
وانفع به وطن الجودود مقربا ∴ ما بين مسلمه ونصرانيه
وها هو ذا الشاعر القرّى يقر بالوحدانية والقدرة لله - تعالى - وينزّهه
عن كل ما لا يليق به فيقول ^(١) :

عل الوجود هو الله الذى اتجهت ∴ هذى النفوس إليه بالعبادات
ما كان قبط عن الأشياء منفردا ∴ بل هن فيه لصوق الذات بالذات
سبحانه وتعالى أن يصاحبه ∴ نقص ويعنى بنفى أو يائبات
لو قال كن كان للتكميل مفتقرا ∴ وكان في حاجة الماضى إلى الآتى
وانبثاقا عن هذا الإيمان بالله وبأسمائه الحسنى وصفاته العليا من شاعر يدين
بالنصرانية نراه يدعو إلى ذكر الله تعالى تأكيداً لما يقصد إليه من معان ... وذلك في
قوله ^(٢) :

إنما الحى نسمة تتغذى ∴ بالنسيمات من فم أو معطس
فاذكر الله يا ابن آدم واشكر ∴ رحمة الله كلما تتنفس
ويقول ^(٣) :

قمت مع العصفور قبل الضحى ∴ أسبح الله كما سبحا
وانطلاقاً من هذا التعظيم الواضح من شاعر نصرانى لله سبحانه نراه ينتقل
في موضع آخر من شعره إلى تأكيد إيمانه بالله تعالى من خلال تضرعه ومناجاته
للذات العلية قاصداً وراجياً العفو موقناً بأن عفو الله عظيم مهما كثرت الذنوب ..

(١) السابق : ٢ / ٩٦٥ .

(٢) السابق : ٢ / ٨٦٦ .

(٣) السابق : ٢ / ٩٣١ .

فيقول (١) :

ربي أعوذ بعفوك المأمول من مكر ومن زهو ومن وسواس
مالي إليك سوى الرجاء وسيلة فمأغى تربي على أنفاسي
ويقول (٢) :

سيدي كن على الحياة معينا تائباً ذاق من رضاك معينا
كم صرفت السنين والقلب لاه عنك يارب كم صرفت السنين
غير أنى وأنت تعلم أنى لم أكن من رضاك أيأس حيناً
ولكم جئت نادماً أطلب العفو وأذرى دمع العيون سخينا
تارة في الخلاء أجنو وطورا تحت ستر الظلام أبكى حزينا
فتعطف على رباه وارأف بأثيم يرجوك ربا حنونا
كم تمنيت أن أكون من الأبرار فاسمح يا سيدي أن أكونا
فالأبيات إنابة إلى الله (ﷻ) وإلحاح في الطلب والدعاء ، ورجاء قبول
التوبة مع الإقرار بالذنب والحرص الشديد على طلب غفرانه ...
وهكذا ... نجد الشاعر القروي عند الحديث عن الذات العلية ، وصفاتها
قد تناولها من منظور إسلامي ، متأثراً فيه بالقرآن الكريم ، وهي صفات ملائمة
للغرض الذي يريده .

(١) السابق : ٩١٢ / ٢ .

(٢) السابق : ٢٠٧ / ١ .

ثانياً : تناول بعض الغيبيات

إن الإيمان باليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وثواب وعقاب ركن من أركان الدين ، وجزء من أجزاء العقيدة السليمة ، ولا يكون الإنسان صحيح الإسلام إلا إذا آمن إيماناً راسخاً بأن هذه الحياة الدنيا بما فيها وبمن فيها ستنتهي في الوقت الذي يريده الله - تعالى - والموت هو الحقيقة الأخروية يؤمن بها المسلم على أنه نهاية مرحلة " الحياة الدنيا " وبداية حياة جديدة هي الآخرة ، فالمسلم يستقبل الموت على أنه واقع محتوم لا مفر منه ، وأن مرجعه إلى الله - تعالى - شاء أم أبى ، وما خلد الله أحداً في الدنيا مهما طال عمره ومهما كان قدره .

فإذا جننا إلى الشاعر القروي لنرى موقفه من هذه الأمور الغيبية ، نجد تعمق الحس الديني الغيبي عنده ، فيعلن حتمية انتهاء الأجل قائلاً ^(١) :

ماذا أرجى من الدنيا وقد فرغت .: منها يدى وقربا ينتهى أجلى
ومن ذلك قوله ^(٢) :

إذا حم القضاء فلا سلاح .: يرد الموت عنك ولا صلاح
ولو أغنى النواح لكان أغلى .: من الأبصار للعين النواح
وقوله ^(٣) :

كل شئ إلى الفنا .: ما ترى الكد والعنا

ويتناول المساواة في الموت فيقول ^(٤) :

دع من قضى وادخر دمعاً لمرقن .: فإنه ذاهب في إثر من ذهب

(١) السابق : ١ / ٦٩ .

(٢) السابق : ٢ / ٦٥٢ .

(٣) السابق : ١ / ٣٢٠ .

(٤) السابق : ١ / ٢٤٤ .

ولا تقل ذاك مملوك وذا ملك .: فالرجل والرأس فى حكم التراب هبا
 والموت ما عف عن عبد ولا ملك .: كالنهر يجترف الأقدار والذهب
 ومن إشارات الشاعر القروى إلى الموت بوصفه حقيقة مطلقة، إلى الإيمان
 بالبعث بوصفه حقيقة غيبية ، الأمر الذى يدل على عمق المؤثرات الإسلامية فى
 شعره ، مثله تماما مثل الشعراء المسلمين ، فيقول ^(١) :

صبرا على غير الزمان فطالما .: رفع الوهاد وغور الأنجادا
 ولسوف يجمعنا بذروة شاهق .: إن شاء ربك للرفات معادا
 ويقول أيضا ^(٢) :

لم يضرنا راحة بعد العنا .: فالكرى يغمض أجفان الأسود
 فارتقب يا أيها المذرى بنا .: ليس يوم البعث منا بعيد
 فى هذه الأبيات نلمس إيمانا بالبعث بعد الموت من الشاعر القروى ،
 الذى يذكر هنا المعاد والقيامة ، وهى من الأمور الغيبية التى أخبرنا بها المولى (ﷺ)
 وأمرنا بالإيمان بها ، وعدم الخوض فى حقيقتها وماهيتها، ولكن علينا التسليم بكل
 هذه الأمور الغيبية دون جدال أو نقاش .

وفى موضع آخر من شعره يتناول الدار الآخرة ، تأكيدا لما يقصد من إيمان
 بالغيبيات ، فيحث على الاستعداد للدار الآخرة ، كما يشير إلى أن اليوم عمل بلا
 حساب وغدا حساب بلا عمل فيقول ^(٣) :

تبى القصور وقصر عمرك فاقد .: حجرا لكل غروب شمس مساء
 فاعمل ليوم لا رجوع به إلى .: عمل ولا عمل بغير جزاء

(١) السابق : ١ / ٢٢٤ .

(٢) السابق : ٢ / ٥١٦ .

(٣) السابق : ٢ / ٦٢٧ .

آمنت بالأخرى فليس وجودنا .: عبثا وليس مصيرنا لفناء
 كما يطالعنا في موضع آخر من شعره بخوفه الشديد من يوم الحساب في
 الآخرة عائذا بالله من تغيير الوجوه يوم القيامة من شدة الحساب قائلا (١) :
 لا قدر الله أن تحمر أوجهن .: إذا التقينا في يوم الحساب غدا
 إلى غير ذلك من النماذج التي تأثر فيها الشاعر القروي بالغيب في المعتقد
 الإسلامي حين تحدث عن الموت والبعث والنشر والدار الآخرة وما فيها من
 حساب وجزاء ... والتي استقى أشكائها وألوانها من القرآن الكريم ومن ثقافته
 الإسلامية .

ثالثا : استلهام قصص الأنبياء في بعض الأغراض الشعرية

إذا ما تناول شاعر من الشعراء نبيا من أنبياء الله - تعالى - في شعره ، فإن
 هذا تناول يكون مرتبطا بصورة أو بأخرى بالقصة القرآنية التي ورد فيها ذكر
 النبي يفيد منها في مجال تناوله ، وعن طريق الإيحاء والرمز يسقط الشاعر ما حدث
 للنبي من معجزة ، أو محن أو اضطهاد على الشخصية التي يتعامل معها ، ويوظف
 القصة توظيفا يكسب التجربة الشعرية ثراء وأبعادا أخرى ، ويقرب التجربة من
 الوجدانية والتكثيف الذي هو دعامة أساسية من دعائم الرمزية (٢) .

وانبثاقا عن إيمان الشاعر القروي بالله وبأسمائه وصفاته العليا نراه ينوّه برسل
 الله تعالى دون تفريق بين أحد منهم ، كما نجد يوظف قصص الأنبياء توظيفا
 يتواءم مع الغرض الذي يريده فيقول - مثلا - من القصيدة التي يمدح بها السلطان
 الأطرش منوها بالنبي محمد (ﷺ) بوصفه ناصرا للمظلوم رافعا عنه الضيم :

(١) السابق : ٢ / ٧٦٨ .

(٢) يراجع : أثر الإسلام في الشعر العربي الحديث ، د / شلتاع عبود شراد ، ص ١٥٥ .

- ويا لك أطرشاً لما دعينا :: لثأر كان أسمعنا جميعاً
 فتى الهيجاء لا تعتب علينا :: وأحسن عذرنا تحسن صنيعاً
 إذا حاولت رفع الضيم فاضرب :: بسيف محمد واهجر يسوعاً
 أحبوا بعضكم بعضاً وعظنا :: بها ذنباً فما نجت قطيعاً
 فيا حملاً وديعاً لم يخلف :: سوانا في الورى حملاً وديعاً
 غضبت لذات طوق حين بيعت :: ولم تغضب لشبعك حين بيعاً
 ألا أنزلت إنجيلاً جديداً :: يعلمنا إباء لا خنوعاً
 شفعت بنا أمام أب رحيم :: وما نحتاج عند أب شفيعاً
 أجرنا من عذاب النير لا من :: عذاب النار إن تك مستطيعاً (١)

الملاحظ على القروى في هذه القصيدة أن المدح لم يكن شغله الشاغل كما هو واضح ، وقد كان همه الرد على مهاجمة الطائفين المتعصبين متذرعين بأقواله عن النبي محمد (ﷺ) وعن دين الإسلام للطعن في عقيدته الدينية بأنه كافر بالإنجيل وتعاليمه ، ومن ثم وجدناه في أبياته تلك يقارن بين مبدأى المسيحية والإسلام في مواجهة العدوان الباغى ، الأمر الذى أدى به إلى مخاطبة المسيح والعتب عليه .

فدعوى القروى على المسيح وتعاليمه فيها نية حسنة ، وغرض نبيل ، فالشعوب المظلومة في العصر الذى نعيشه هى تلك التى تضرب بسيف النبي محمد (ﷺ) صاحب مبدأ القوة ، بينما الشعوب المتحكمة برقاب العباد هى تلك الشعوب التى تعلمت المسألة المطلقة من الإنجيل والوداعة من السيد المسيح ، والدين ليس مسئولاً عن هذه الحالة ، بل المسئولية على المتدينين الذين ناقضوا

(١) ديوان القروى : ١ / ٤١٦ ، ٤١٧ .

بسلوكهم تعاليم دينهم .

وقد كان الأجدر للقروى أن يعالج القضية من الناحية النفسية القومية ، لا من الناحية الدينية ؛ لأن استبدال شريعة بشرية لم يحلها في الماضي ، ولن يحلها في المستقبل ^(١) .

وينتقل القروى في موضع آخر من شعره يمجّد فيه العروبة مشيداً ببطولة العرب في حربهم ضد الاستعمار منوها في الوقت نفسه بحبه للمصطفى (ﷺ) فيقول ^(٢) :

من يبك عهد الموامى والدمى فأنا ∴ والحمد لله قد حطمت أصنامي
شغلت قلبي بحب المصطفى وغدت ∴ عروبتى مثلى الأعلى وإسلامي
دع ذكر كل عظيم حين تذكره ∴ وقف دقيقة إجلال وإعظام

ويتحدث عن تسامحه وتجرد نفسه عن التعصب المذهبي والديني ، وذلك من قصيدته التي يثور فيها على من ينكرون إعجابه بالإسلام متغنيا خلالها بإرضائه للنبي محمد (ﷺ) والسيد المسيح (عليه السلام) فيقول ^(٣) :

إني على دين العروبة واقف ∴ قلبي على سبحاتها ولساني
إنجيلي الحب المقيم لأهلها ∴ والزود عن حرمانها فرقائي
أرضيت أحمد والمسيح بثورتى ∴ وحماسي وتسامحي وحناني

وفي موضع آخر من شعره يقول ^(٤) :

(١) ينظر : أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية ، جورج صيدح ، ص ٤٠٢ -

٤٠٤ ، ط دار العلم للملايين ، بيروت ، ط الثالثة ١٩٦٤ م .

(٢) ديوان القروى : ٩٥ / ١ .

(٣) السابق : ٥٥٦ / ٢ .

(٤) السابق : ٩٢٧ / ٢ .

لا ينبت الدين بغضا في مزارعنا .: مهما أخو الجهل من أشواكه بذرا
نور المسيح تجلى عن مذاودنا .: وسيف أحمد من صحرائنا شهرا
كما ينوه بالنبيين الكريمين (عليهما السلام) في قصيدته التي يمدح فيها
الشريف الحسين بن علي حين هب لتحرير العرب من نير الترك في الحرب العالمية
الأولى والتي منها ^(١) :

ملك على الإسلام أبدى غيرة .: قرت بما عين الرسول بقبره
نصر المروءة فالمسيح وأحمد .: يتبادلان التهنئات بنصره
ومن الأنبياء الذين تناولهم القروى في شعره موسى (عليه السلام) فقد حظيت
شخصيته بما لم تحظ به شخصية أخرى في القصص القرآني حيث تكررت القصة
التي تعالج مواقف موسى (عليه السلام) في حوالى ثلاثين مرة ^(٢) " وفي كل مرة يعرض
القرآن لجانب من الصعاب التي واجهها هذا النبي في حياته ، وفي حياة
رسالته " ^(٣) .

وقد تناول القروى موقفا واحدا من مواقف موسى (عليه السلام) ألا وهو موقف
العصا وقد ضرب بها البحر فانفلق ، وقد حكى القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى
: { فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ
الْعَظِيمِ } ^(٤) .

(١) السابق : ١ / ٣٦٧ .

(٢) ينظر : التصوير الفني في القرآن الكريم ، سيد قطب ، ص ١٥٦ ، ط دار الشروق ، ط

الرابعة عشرة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .

(٣) أثر القرآن في الشعر العربي الحديث ، ص ١٥٧ .

(٤) سورة الشعراء الآية (٦٣) .

فيقول القروى من القصيدة التى يحث فيها على الصدقة والتبرع^(١):

أموسى بربك أين العصا .: فإن القلوب غدت كالصخور

بكيت ويا ليت دمعى خسر .: فما الأهل فى حاجة للبحر

بنى وطنى أظهروا ما لكم .: إذا كنتم تبتغون الظهور

وينتقل القروى إلى نبي آخر من أنبياء الله ، ألا وهو سيدنا يوسف (عليه السلام)

فيذكره قائلا^(٢) :

يا يوسف الحسن السلام عليك من .: روح تحن لشطك المتناثي

كما يستلهم القروى قصة سيدنا يونس (عليه السلام) فى معرض حديثه عن السمكة التى طرحها فى البحر بعد أن أمسك بها فيقول^(٣) :

سرى على بركات ربك واذكرى .: ذاك الذى يرجو بالأنا نلتقى

وقفى بجذك حوت يونان إذا .: يوما حججت ضريح جذك وانطقى

لا يذهب المعروف يا جدى ولو .: شاخ الزمان وشاب غر المشرق

فالشاعر هنا تصور أن هذه السمكة حفيدة الحوت الذى ابتلع سيدنا يونس

(عليه السلام) ثم لفظه حيا بعد أيام ، فأهاب بها أن تقف على ضريحه وتقول له : إن

الشاعر القروى بإطلاقه حفيدتك قد رد لك الجميل الذى صنعتته مع النبي يونس (

عليه السلام) منذ عشرات القرون .

وهكذا ... وظف الشاعر القروى سيرة الأنبياء وقصصهم توظيفا يتفق مع

غرضه ، وهذا يدل على الثقافة الإسلامية العميقة عنده .

(١) ديوان القروى : ١ / ٢٧١ .

(٢) السابق : ٢ / ٦٢٨ .

(٣) السابق : ١ / ٣٠١ .

رابعاً : تناول بعض المناسبات الإسلامية

تمثل المناسبة قيمة تنبع من العقيدة، وتمتد إلى الأخلاق أو السلوك هي إحياء لتاريخ أو حدث مؤثر ، مستمر التأثير بصورة أو بأخرى . ولقد دار جدل كثير بين النقاد حول شعر المناسبات بين قبوله أو رفضه، وليس هذا مجال البحث ، ولكنى سأكتفى بومضة واحدة تشير إلى ذلك فى د / هيكمل أن شعر المناسبات "يصدر عن إلهام خارج نطاق النفس ، بينما الشعر الحق ما يصدر عن وحي النفس المتأثرة الشاعرة " (١) .

فهو لهذا يرفضه ، ويصفه بالشعر غير الحقيقى ، وإنما هو مجرد نظم خالى من الشعور ، بينما نجد الدكتور مندور يرى " أن العبرة بجمال القصيدة فقد يتأثر الشاعر بمناسبة معينة ، فيستطيع أن يؤثر فى النفوس تأثيرا كبيرا ، وليست العبرة بشعر المناسبات نفسه " (٢) .

هذا .. وقد طرق شاعرنا القروى بعض المناسبات الإسلامية التى يحلو ويحمل تكرارها فى صورة مشعة نحو الذكريات لتجدد فى الأسماع والقلوب أروع المثل . وذلك مثل ميلاد النبی (ﷺ) الذى كان بعثا طهر النفس وعمر الدنيا وقرر الحق للإنسان ، حيث لم يكن ميلاد فرد عادى ؛ بل كان ميلاده (ﷺ) بمثابة بعث جديد للأمة الإنسانية .

فيقول القروى محتفلا بهذه الذكرى (٣) :

عيد البرية عيد المولد النبوى .
فى المشرقين له والمغربين دوى .

(١) ثورة الأدب ، محمد حسين هيكمل ، ص ٧٢ ، ط القاهرة ١٩٣٣ م .

(٢) فى الميزان الجديد ، د / محمد مندور ، ص ٤٨ ، ط دار نهضة مصر ، القاهرة ، ط الثالثة ،

من دون تاريخ .

(٣) ديوان القروى : ١ / ٤٠٠ .

- عبد النبي ابن عبد الله من طلعت .: شمس الهداية من قرآنه العلوى
 بدا من القفر نورا للورى وهدى .: يا للتمدن عم الكون من بدوى
 يا صاحب السيف لم تقلل مضاربه .: اليوم يقطر ذلا سيفك الدموى
 يا فاتح الأرض ميدانا لقوته .: صارت بلادك ميدانا لكل قوى
 يا حبذا عهد بغداد وأندلس .: عهد بروح أفدى عوده وذوى
 من كان فى ريبة من ضخم دولته .: فليتل ما فى توارىخ الشعوب روى
 يا قوم هذا مسيحى يذكركم .: لا ينهض الشرق إلا حينا الأخوى
 فإن ذكرتم رسول الله تكرمة .: فبلغوه سلام الشاعر القروى

وهكذا نرى روح الذكرى ترفرف حول الشاعر القروى وتداعب قلبه ،
 فيتخذ من هذه الذكرى مجرد (نقطة) مد يبحر بها إلى شواطئ الآمال البعيدة
 للأمة الإسلامية ، ويرسم من خلال ذلك صورة تقابلية بين أمس المسلمين ويومهم ،
 واصفا حال البلاد العربية والإسلامية وما آلت إليه من ضعف وهوان ، متمنيا
 عودتها إلى عهودها الزاهية ، مرسلا سلامه إلى صاحب الدعوة الإسلامية محمد
 (ﷺ) .

ويتنقل القروى فى موضع آخر من شعره فيقول فى قصيدة بمناسبة المولد
 النبوى الشريف وفيها يتحدث عن حضارة المسلمين وأن النبى (ﷺ) جاء
 نورا وهدى فى الوقت الذى كان الغرب فيه يتخبط فى ظلمات الجهل والضلال ،
 كما يتحدث فيها أيضا عن إنجازات المسلمين ، وحضارتهم وفتوحاتهم
 الإسلامية^(١) :

نحن الألى سدنا الشعوب .: ونحن مدنا الأمم

(١) السابق : ٥٤٧ / ٢ .

- أعطاهم الله اللسان .: ونحن أعطينا القلم
 خضنا البحار زمان لم .: يك ظل ساجدة ييم
 حتى إذا لم يبق شط .: لم تطأه لنا قدم
 نور النبوة فاض من .: مهد المروءة والكرم
 وتدفقت تلك الجحافل .: كاخضم على الخضم
 هذا قضاء الله أم .: عرب تكرر على عجم
 زحفت مكبرة فذكر .: الله يملأ كل فم
 طلع الهدى من شرقنا .: والغرب يخط في الظلم
 بدرأ بقدموس أهل .: وبابن عبد الله تم

وكما تغني شاعرنا القروى بذكرى المولد النبوى تغنى كذلك بالأعياد الإسلامية ، فتهتز مشاعره وتنساب شاعريته بمناسبة عيد الفطر فيشدو قائلًا^(١) :

أكرم هذا العيد تكريم شاعر .: يتيه بآيات النبى المعظم
 ولكنى أصبو إلى عيد أمة .: محررة الأعناق من رق أعجمى
 إلى علم من نسج عيسى وأحمد .: وآمنة في ظله أخت مريم
 وعندما تحين مناسبة عيد الأضحى نلمس نفحات الحج والأضاحى وذكرى
 الفداء في قوله^(٢) :

- ليس للإسلام أو للعتسوية .: ما بهذا العيد للدين مزية
 نحن والإسلام في الأضحى سواء .: قد تقاسمنا الضحايا بالسوية
 ما أضاحى عرفات ومنى .: بل ضحايا الشام بالمجد غنية

(١) السابق : ١ / ٤٦٠ .

(٢) السابق : ١ / ٤١٨ .

ليس من ضحى بكبشى غنم ∴ مثل من ضحى بنفس بشرية
 أين من أدى زكاة من فتي ∴ جاد للأمة بالروح الزكية
 ثم نراه أيضا يحث على الصدقة في عيد الأضحى قائلا ^(١) :

بألف تؤديها لغيري مخلفا ∴ لنفسك ذكرا آخر الدهر لا يحى
 إذا حدث الأحفاد عنه مؤرخ ∴ يقدسه الأحفاد ما قدسوا الأضحى
 إن وراء تلك العبارات المسطورة والمشاعر الباحثة عن الجوانب المضئية في
 مسيرة الحضارة الإسلامية روحا ترفرف حول نفس صاحبها مليئة بمشاعر التسامح
 والود ، وليس هذا بغريب على من نهل وارتوى من نبع الحضارة الشرقية
 الإسلامية والثقافة العربية .

خامسا : تناول بعض القضايا الاجتماعية

مما لا شك فيه أن الأدب والمجتمع وجهان لعملة واحدة ، ولذلك قيل : إن
 الأدب مرآة العصر ، فلا غنى لأحدهما عن الآخر ، ومن ثم نسى الشاعر القروي
 ذاته - إلى حد ما - وانغمس في تيار الحياة الاجتماعية ، موقنا بأن من إنسانية
 الشاعر أن يكون في قومه نغما شاديا تستريح إليه نفوسهم ، وتستجيب له
 عواطفهم ، وتتلاقى عنده آلامهم وآمالهم ، ومن ثم كان عطاؤه في هذا الميدان
 الاجتماعي كبيرا ، يدور حول قضايا اجتماعية يمجتها الإسلام ويدعو إلى البعد
 عنها ، مثل الحقد والحسد والطمع والجشع والكبر والسفور ...
 وهناك قضايا أخرى يدعو إليها الإسلام ويحث علي فعلها مثل العلم والتعلم
 وتربية الأبناء والتسامح ومكارم الأخلاق والصدقة والكرم وعدم الإسراف ، وغير
 ذلك من القضايا الاجتماعية ذات الصلة بالإسلام .

(١) السابق : ٢ / ٧٠٨ .

ولقد تناول القروى آفة الحقد في أبيات يصور فيها حال الناس مع هذه الظاهرة ، ويرهن من خلال أبياته على ذمه لهذه الآفة الاجتماعية فيقول^(١):

وشر بلاننا حسد	∴	يمض نفوسنا مضاً
يؤسس فردنا نفعاً	∴	فينقض جمعنا نقضاً
فلو عرض الزمان على	∴	رجال بلادنا عرضاً
وقال منحتكم يا قوم	∴	طول الأرض والعرضاً
بشرط واحد ألا	∴	ينازع بعضكم بعضاً
لحاول نفعهم عبثاً	∴	وكان جوابهم رفضاً

ويقول في ذم الحسد^(٢) :

زمن يسود به الحسود فمن سعى	∴	فنجاحه سبب لهدم نجاحه
ساعت به الحسنات حتى كاد أن	∴	يخشى الضليل به طلوع صباحه
فإذا أردت بأن تحقر صالحاً	∴	يكفيك بين الناس ذكر صلاحه
وإذا مدحت فتى فعظم شره	∴	فلقد غدا فخر الفتى بصلاحه

والقروى في أبياته تلك ينظر إلى مجتمعه نظرة تشاؤمية ، حيث حالة المجتمع المقلوبة والمعكوسة ، وذلك لتفشي ظاهرة الحقد والحسد داخل المجتمع حتى عمت الصالح والطالح .

ويتنقل شاعرنا إلى ذم آفة أخرى من آفات المجتمع وهي الطمع والجشع فيقول^(٣) :

(١) ديوان القروى : ١ / ١٩٩ .

(٢) السابق : ١ / ٢٠٨ .

(٣) السابق : ١ / ٤٣٣ .

جودوا على صاحب المليون وارتدعوا :: عن عزله فأشدد الفاقة الطمع
وأوسعفوه بما أيمانكم ملكت :: ثم احمدا الله لا مال ولا جشع
ويذم الكبير في قوله ^(١) :

سل المتكبرين هل استشيروا :: بمولدهم وهل أمنوا الحماما؟
أليس قوامهم ماء وطنينا :: كما خلق الإله لنا قواما؟
فإن كانوا كغيرهم أناما :: علام إذا قد احتقروا الأناما؟
كما يذم السفور فيقول ^(٢) :

لحد الركبتين تشمرينا :: بربك أى نهر تعبرينا
وماذا ينفع التهذيب نفسا :: تحارب فيك إبليس اللعينا
فيا ليت الحجاب هوى فأمسى :: يرد الساق عنا لا الجبينا
فإن الساق أجدر أن تغطي :: وإن الوجه أولى أن يبيننا

ورؤية الشاعر القروى فيما ساقه إلينا من صفات مذمومة لا تتفق وتعاليم
الدين الإسلامى الحنيف ، حيث حضت شريعة الإسلام على التمسك بالأخلاق
الفاضلة ، وحذرت من الوقوع والاقتراب من رذائلها .

كما بينت أيضا أن حسن الخلق يرفع صاحبه إلى أعلى الدرجات بينما سوء
الخلق يهوى بصاحبه إلى أسفل الدرجات ، وبنظرة الثاقبة أدرك شاعرنا القروى
هذه المعانى ، وراح يؤكد عليها فى شعره ، وعلى قدر صرامته فى الحق ، وعنفوانه
فى الثورة على الظلم ، كانت وداعته فى الصفح ونقاوة قلبه من التعصب ، ونزعة
إلى التسامح ، وقصيدته (الصفح) خير دليل على ذلك وفيها يقول ^(٣) :

(١) السابق : ١ / ٣٨٠ .

(٢) السابق : ١ / ٣٣٨ .

(٣) السابق : ٢ / ٨٩٣ .

تخير بي عدوى إذا تجنى :: على فما سألت عن التجنى
وقابل بين ما ألقاه منى :: وما يلقي من الإحسان منى
يبالغ في الخصام وفي التجافى :: فأغرق في الأناة وفي التأني
أود حياته ويود موتى :: وكم بين التمنى والتمنى
كما يؤكد القروى دعوته إلى مكارم الأخلاق من خلال الحث على الصدقة
في قوله ^(١) :

أرى الله لفظاً بالمكارم ينطق :: وديننا بمحمود الفعال يصدق
كفاكم كلاماً إن تلوتم كلامه :: وما زاد عنه فالذى زاد أحق
ولم يوصكم ربى بأن تتشددوا :: ولكنه أوصى بأن تتصدقوا
ويا ليت كل القوم يحشوا جيوبكم :: ويا ليت بعض المال لله ينفق
ويؤيد هذا المعنى قوله ^(٢) :

إذا شيدت بالصفاح بيتاً :: فخلد بالمكارم ما بنيتا
فربة صخرة بالجود حيث :: وبجر عاد بالإمساك ميتا
وبالرغم من دعوته تلك التى تحث على الصدقة ، والاتكاء على الإنفاق
نراه يعضد دعوته بما لا يتنافى معها ، ومن ثم نجد دعوته إلى عدم الإسراف فى
قوله ^(٣) :

لمن المآذب حولها الأضياف - :: وعلام هذا البذل والإسراف
يا عصبة الخلق الكريم وإنها :: لشهادة يقضى بها الإنصاف
عبثاً نحاول كف كفك عن ندى :: إن الكريم مبذر متلاف

(١) السابق : ٢ / ٩٠٣ .

(٢) السابق : ٢ / ٨٥٥ .

(٣) السابق : ٢ / ٤٩٣ .

خلو المطاعم للذين قلوبهم .. ورءوسهم ونفوسهم أجواف
 حسب البلبال حبتان وقطرة .. وتعود للتغريد وهى خفاف
 وينصح الشاعر القروى بالتحلى بصفة التواضع قائلا ^(١) :
 قد اتخذ العلم التواضع صاحباً .. فصاحب رفيق العلم إن فاتك العلم
 ثم ينتقل الشاعر القروى في موضع آخر من شعره ، ليؤكد على قضية
 اجتماعية هامة ، وهى دعامة من دعائم الإسلام ، دعا إليها ، وحث عليها ، وأمر
 بالأخذ بها وهى قضية العلم والتعلم ..
 فيبين أولاً قيمة العلم في قوله ^(٢) :
 قيمة العلم أن يرى بعينى .. ما يرى من عالم الغيب قلبى
 ترقب النفس من بعيد جمالا .. نتقصى آثاره فى الدرب
 ويثبت رأيه في هذه القضية ثانياً بأن المسجد دار عبادة وثقافة مستشفعا في
 ذلك بأوامر النبى (ﷺ) زيادة في التحفظ بما يتفق وتعاليم الدين الإسلامى الخفيف
 فيقول ^(٣) :

يا مسلمون نصيحة من مخلص .. يتلو محامدكم بكل حديث
 رأى بجامعكم كراى نبيكم .. كم آية منه لكم وحديث
 لا خير فيه لمسلم إلا إذا .. ألحتموه علامة التأنيث

(١) السابق : ٢ / ٨٣٩ .

(٢) السابق : ٢ / ٨٨٤ .

(٣) السابق : ٢ / ٥٣٧ .

ويؤكد القروى تلك الرؤية موجها ومرشدا فيقول ^(١) :

تلقط شذور العلم حيث وجدتها ∴ وسلها ولا يحجلك أنك تسأل
إذا كنت في إعطائك المال فاضلا ∴ فإنك في استعطائك العلم أفضل
ويذم الجهل قائلا ^(٢) :

ذو الجهل لا ينفك مضطربا ∴ لأقل شئ يفقد الصبرا
كل المصائب عنده كبرت ∴ إلا مصيبة جهله الكبرى
كما ينتقل الشاعر القروى في موضع آخر من شعره ليؤكد على قضية اجتماعية هامة ، وهى تربية الأبناء ، إذ أن من الضروري للسعادة الأسرية أن ينهض الآباء والأمهات برعاية أولادهم وأن يرشدوهم بما عرفوا من تجارب ، وقد جاء في هذا الشأن قوله ^(٣) :

ربوا البنين على الصلاح فإنكم ∴ لن تسعدوا أبدا إذا لم يسعدوا
إن البنين مساند لظهوركم ∴ ولو أنكم بظهوركم لم يولدوا
ويوجه نصيحته للأمم قائلا ^(٤) :

ربى البنين على فدى أوطانهم ∴ يوم الجهاد إذا دعوا لجهاد
كما يوجه نصيحته إلى الأب فيقول ^(٥) :

يا أب إن كنت أخا حكمة ∴ هز عصا التأديب للابن
فإنما أنت بتقويمه ∴ أولى من الشرطى والسجن

(١) السابق : ٢ / ٨٥٢ .

(٢) السابق : ٢ / ٨٦١ .

(٣) السابق : ٢ / ٨٤٤ .

(٤) السابق : ٢ / ٦٧٤ .

(٥) السابق : ٢ /

وهنا تدور رؤية الشاعر القروى حول إعداد الأبناء للمستقبل وقد رأينا مدى حرصه على غرس أسس التربية الإسلامية في الأبناء ، فيحث على تنشئتهم تنشئة صالحة تقوم على الصلاح وحب الوطن والجهاد من أجله ، مع التمثيل بالأخلاق الحسنة والآداب الحميدة ، حيث تصب هذه الصفات في قالب واحد هو إعداد الفتى القادر على تحمل المسؤولية ...

سادسا : تناول بعض الشخصيات الإسلامية

وتوظيف التراث الإسلامي في ذلك

لقد كان رجال الإسلام - الذين أخلصوا دينهم لله - في تاريخه سطورا مضيئة ، وكانوا للأمة هداة وقادة ومعلمين .

ومن ثم أسهم كثير من الشعراء في ذكر بعض عظماء الإسلام ، وراحوا يستعيدون مجد أسلافنا من أبطال الإسلام وعظمائه ، وذلك لتكون هذه السير عاملا من عوامل نهضة الأمة الإنسانية .

ومن أجل ذلك رأينا الشاعر القروي يتجه نحو التاريخ الإسلامي ، يستخرج من مواقف عظمائه دروسا تعالج بها الأمة وواقعها .

ومن هنا سوف أعرض بعض النماذج الشعرية التي توضح استدعاء القروي للشخصيات الإسلامية من خلال شعره ، ويأتى في مقدمة تلك الشخصيات : الخلفاء الراشدون الذين يمثلون الوجه المضيء في التاريخ الإسلامي ، حيث صنعوا مجد الدولة الإسلامية وأرسوا دعائم الحق والعدل والمساواة . ومن ثم نجد الشاعر القروي يشيد بهؤلاء العظماء من رجال الإسلام فيقول ^(١) :

تالله لم هذا الجفاء لأمة .: ما أنجيت غير المعمم المخول
أتريد أعظم من أبي بكر ومن .: عمر إذا انتسب الكرام ومن على
ويتحدث عن عدل عمر وتواضعه فيقول ^(٢) :

خففت رأسك لا ذلا ولا خجلا .: بل اتضاع وريق مثقل بشمر
ولم يطأطى لغير الله هامته .: إلا ليطعم صبيان العجوز عمر

(١) السابق : ٢ / ٥٨٦ .

(٢) السابق : ٢ / ٨٦٢ .

وهنا ندرك مدى إعجاب القروى بالخلفاء الراشدين ؛ لأنهم النموذج الأمثل للحاكم الذى حمل أمانة الحكم فأداها كما يجب .

ولم يغفل شاعرنا القروى تاريخ حقب حافلة بأروع البطولات والأبجاء والانتصارات ، حيث رأى أن يبعثها حية ماثلة للعيان تعيد للنفوس اليائسة بعض الثقة من ماضيها المجيد .

ومن تلك الشخصيات الفذة في تاريخ الإسلام " خالد بن الوليد " وطارق بن زياد " فيقول في خالد ^(١) :

لنا كل يوم عضبة مضرية :: تبرهن أن الحق كالله أكبر
نخبي في أطمارنا كل ضيغم :: يعرفكم عن نفسه حين يزأر
ومن كان في أجداده مثل خالد :: فمن آيه ما تبصرون وأكثر

ويقول عنه وعن طارق في أبيات من قصيدة يخاطب فيها رجال الغرب ^(٢)

من لعرض الحقائق :: من أخاديع فاسق
ها هو الأمس أمسكم :: ماثلا لم يفارق
ها هي ميامين خالد :: ها مغاوير طارق
أنشب الغول كفه :: في رقاب المضايق
ونكبت بطارق :: عند وقع الطوارق
خذلتكم دوارع :: كالجبال الشواحق

ويقول ^(٣) :

ويصيح بالأعداء صيحة خالد :: ويكر كرة طارق بن زياد

(١) السابق : ١ / ٤٨٧ .

(٢) السابق : ٢ / ٥٢٨ .

(٣) السابق : ٢ / ٦٧٣ .

فالصورة التي أبرزها القروى في أبياته تلك هي صورة الأمانى في زماننا !!
حيث انعدام الشخصية الحقيقية للقائد المحارب الذى يتشبه بخالد وطارق في
شجاعتهما ، ولذلك يقول في سيرة طارق بن زياد ^(١) :

إن في ذكر طارق للهيبا .: يتلظى في كل عرق أصيل

ومن الشخصيات الإسلامية التي تناولها القروى - أيضا - في شعره القائد
"صلاح الدين الأيوبي" فيقول عنه ^(٢) :

يدعوك شعبك يا صلاح الدين قم .: تأبى المروءة أن تنام ويسهروا
نسى الصليبيون ما علمتهم .: قبل الرحيل فعد إليهم يذكروا
وكأنما الشاعر القروى أراد أن يذكر بماضى هذا القائد العظيم وتاريخه
العريق المشرق الذى كان مصدر إشعاع حضارى تستقبل الدنيا ضوئه في إعجاب
وامتنان .

وإذا كان القروى قد يعم وجهه شطر الماضى يستعير من مجوده ما يرد إلى
معاصريه ثقتهم بأنفسهم ، ويبت فيهم روح الأمل في استعادة ما كان لهم من ماضٍ
بعيد وتاريخ عظيم ، فإنه لم ينس أعلام عصره ممن جاهدوا في سبيل الحق ، ومن
هؤلاء : " فيصل بن الحسين " الذى رثاه القروى بأكثر من قصيدة إذ رأى فيه
مثلا أعلى وقدوة حسنة للحاكم المسلم ، حيث يقول ^(٣) :

وما يكون مصاب العرب في ملك .: حلو الشمائل تبكى فقدته العجم
ثم ينتقل في رثائه لهذا الملك إلى وصفه ببعض الشمائل الإسلامية المنبثقة
من البناء القيمى الإسلامى للحاكم المسلم ، حيث كان رمزا للتسامح الإسلامى

(١) السابق : ٢ / ٦١٣ .

(٢) السابق : ١ / ٤٣٧ .

(٣) السابق : ٢ / ٤٧٩ .

العظيم ، إذ يرجع نسبه الشريف إلى سيد المرسلين (ﷺ) فيقول ^(١) :

لن يفيك الرثاء يا سيد العرب ∴ ويا سبط سيد المرسلينا
ولو أن السحاب كان دمعاً ∴ ولو أن النجوم كن عيوناً
يا حجيجاً يطوى إلى الكعبة ∴ البطحاء طيا ويستحث الطعونا
كن جليداً على الشدائد واسمع ∴ كأنطباق الجفون رفقا ولينا
يا سيد الدين هل يدعى معلمكم ∴ عيسى بن مريم أم موسى وهارونا
لقد رحمت ثعابين اليهود ألا ∴ فارحم خرافك وأحسبهم ثعابيناً
ويقول ^(٢) :

إن يمت فيصل لقد مات حراً ∴ مثل آبائه الكرام العزاز
مات في ساحة الجهاد شريفاً ∴ وأعد الغازى ليوم البراز
فالأمانى في تربة اليأس روض ∴ والتهانى تسير خلف التعازى

كما يعزف القروى على أوتار هذه القيثارة نفسها في رثائه لهذا الحاكم المسلم، رائياً فيه شخصية خلد الله ذكرها؛ لأنها من آل بيت النبوة ، عبد الله (ﷺ) حتى لقي وجهه ربه راضياً مرضياً إلى جنات الخلد بقوله ^(٣) :

لحى برغم القبر فليخساء الردى ∴ وقد سلم الغازى فلا يهنأ العدى
ولو كل موت يضمن الخلد سارعت ∴ إليه ملوك الأرض مثنى وموحدا
ليرضى عليك الله يا سبط أحمد ∴ فإنك قد أرضيت جدك أحدا
حفيد رسول الله يا غوث أمة ∴ إذا استنجدت لم تلق إلاك منجدا
بكل لسان رتل لك آية ∴ وكل جنان شيدت لك معبدا

(١) السابق : ٢ / ٤٨١ .

(٢) السابق : ٢ / ٤٨٣ .

(٣) السابق : ٢ / ٤٨٤ - ٤٩٢ .

أذبت عليها حبة القلب ساهرا .: فسافر بحبات القلوب مزودا
وهكذا اتجه الشاعر القروي صوب المجود الإسلامية ، يسترجع صورها
ويستحضر ملامحها ، ويستلهم العبرة من خلالها ، يريد بذلك أن يرد إلى الأمة
ثقتها بنفسها وتاريخها .

وبعد .. فبهذا ينتهى المبحث الثانى-المنوط بالدراسة الموضوعية- وقد بدا لى-من
خلاله- أن الشاعر القروي قد تأثر بالإسلام فى كثير من مضامينه الشعرية ،
وحاول جاهدا أن يوظف تاريخ الإسلام وتعاليمه وشعائره فى كثير من تلك
الموضوعات ، وهذا يعنى أنه تأثر بالثقافة العربية والإسلامية التى حرص عليها
المهجريون الذين يشعرون فى أعماقهم بأنهم أحفاد العرب الأجداد . وقد عبر عن
ذلك الشاعر القروي بقوله ^(١) :

عش للعروبة هاتفا .: بحياتها ودوامها
انظر إلى آثارها .: تنبئك عن أيامها
هذا التراث يمت .: معظمه إلى إسلامها

(١) السابق : ٢ / ٥٠٠ .

المبحث الثالث

أثر الإسلام فى سماته الفنية

كان اتصالنا بالغرب واحتلاله لبلادنا ، والتحكم فى مقدراتنا التعليمية والثقافية له أثره فى تنشئة أجيال تحمل فكره وثقافته .

وكان على الجانب الآخر الغالبية العظمى من أدباء الأمة ومتقفيها التى تحمل فكرا عربيا إسلاميا ، وتحاول تطعيمها بما يقويها ويخصبها من آداب الأمم الأخرى، وبكل جديد نافع ومفيد ، كان منهم الشاعر رشيد سليم الخورى ، صاحب هذه الدراسة ، والتى ظهر فيها أثر الحياة الإسلامية بمعظم ألوانها ، حيث ارتبط هذا الشاعر بترائه وثقافته العربية - بالرغم من هجرته وما يدين به من نصرانية - مما جعله يقتبس ويضمن شعره من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر والحكم العربية ، بل إنه بتكوينه العلمى والثقافى دعا إلى التمسك بالأصول الثابتة للأمة العربية ، التى عبأت فيها كل مقومات الحضارة والاجتماعية والثقافية فى مواجهة الحضارة الغازية التى زاحمتنا محاولة الاستبدال على حساب لغتنا وثقافتنا ...

ونريد فى هذا المبحث استظهار أهم الملامح الفنية من قيم شعرية وتعبيرية كان للإسلام دوره وأثره فيها .

أولا : أثر الإسلام فى الألفاظ والأساليب

الألفاظ فى الشعر لبنات بنائه الأولى ، فهى أداة التعبير والإبداع ، تتألف منها معانى الشعر وأسااليه وصوره وموسيقاه ، كما أنها أساس المفاضلة الحقيقية بين شاعر وآخر فى مدى توفيق أحدهما فى اختيار اللفظة وإخفاق صاحبه .

وإذا ما جئنا إلى اللغة القرآنية نجد أن أول ما يلفت حس المتلقى للغة القرآنية هو جمال جرسها، ووقعها في السمع، وانسيابها إلى الوجدان من خلال هذا الظل الذى يوحى به اللفظ، في رسم معناه في المخيلة، حتى ولو لم يكن المتلقى على علم بمعنى المفردة القرآنية مسبقا... إن اللفظة القرآنية في أغلب الأحيان مصورة ناطقة بمعناها موحية به^(١).

وإذا ما جئنا إلى شاعرنا القروى نتلمس أثر الألفاظ والأساليب الإسلامية في شعره فنجد أنه قد تأثر بألفاظ القرآن الكريم تأثرا يتسم بالفخامة والقوة والجلال، فها هو ذا يقول^(٢):

ولأرجعن حليفة الأقوى كما ∴ أرجعت إيدن خاسنا مدحورا
سطرت للباغى كتاب عذابه ∴ فاقراً عليه كتابه المسطورا

فنجد الشاعر قد استعمل ألفاظ "مدحورا"، و "كتاب المسطورا" متأثرا في ذلك بما ورد في القرآن الكريم في سورة "الإسراء" حيث يقول الحق تبارك وتعالى: { وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا }^(٣) وقوله: { كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا }^(٤).

كذلك من الألفاظ التى ذكرها القروى في شعره وتأثر فيها بالأسلوب القرآنى ما جاء في قوله^(٥):

من لشيطان مرید لم يلد ∴ مثله التاريخ شيطانا مریدا

(١)راجع: اثر الإسلام في الشعر العربي الحديث، د / شلتاع عبود شراد، ص ٦٧، ٦٨.

(٢)ديوان القروى: ١ / ١١٠.

(٣)سورة الإسراء من الآية (٣٩).

(٤)سورة الإسراء من الآية (٥٨).

(٥)ديوان القروى: ١ / ١٢٩.

فنجده متأثراً بقوله تعالى : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ } ^(١) ، وقوله : { وَحَفِظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ } ^(٢) وقوله : { وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا } ^(٣) .

ومن الأساليب والعبارات القرآنية التي استخدمها القروى في شعره أسلوب " أضغاث أحلام " التي وردت في القرآن الكريم في معرض الحديث عن قصة يوسف (عليه السلام) حيث يقول الله تعالى : { قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ } ^(٤) وقد جاء هذا الأسلوب عند القروى في قوله ^(٥) :

حاتم تحسبها أضغاث أحلام .: سبح لربك وانحر أنت في الشام

كما تجده متأثراً بسورة " الكوثر " في الشطر الثاني من هذا البيت .

كذلك من الألفاظ القرآنية التي استخدمها الشاعر القروى في شعره ما جاء في قوله ^(٦) :

حتى إذا ظفروا برؤية رسمه .: خروا لديه ركعا وسجودا

فهو متأثر فيه بقوله تعالى : { وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا } ^(٧) وقوله : { يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا } ^(٨) وقوله : { تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا } ^(٩) .

(١) سورة الحج الآية (٣) .

(٢) سورة الصافات الآية (٧) .

(٣) سورة النساء من الآية (١١٧) .

(٤) سورة يوسف الآية (٤٤) .

(٥) ديوان القروى : ١ / ٩٠ .

(٦) السابق : ١ / ٣٣٩ .

(٧) سورة يوسف من الآية (١٠٠) . .

(٨) سورة الإسراء من الآية (١٠٧) . .

(٩) سورة الفتح من الآية (٢٩) .

كما تأثر بقوله تعالى : { ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ } ^(١) في بيته الذى يقول فيه ^(٢) :

أحسن إليهم بالإساءة إنما .: ترويض ذى ناب من الإحسان
ومن الصور البيانية التى تأثر فيها القروى بالقرآن الكريم ما جاء فى قوله ^(٣) :

إن الألى باعوا الضلالة بالهدى .: لا يؤمنون ولو أتاهم بولس
فهو فى هذا يحاكي القرآن الكريم فى أسلوبه حينما تحدث المولى عن هذا
المعنى فى قوله : { أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى } ^(٤) .
ومن السور القرآنية التى تأثر بها الشاعر القروى، سورة " الناس " إذ تأثر
بألفاظها فى قوله ^(٥) :

أعوذ برب الناس من شر نسوة .: يخفن عتاريس الرجال ترجلا
وفى قوله ^(٦) :

رب أعوذ بعفوك المأمول من .: مكر ومن زهو ومن وسواس
كذلك من الأساليب القرآنية التى تأثر بها القروى وجاءت فى شعره :
" فج عميق " والتى وردت فى قوله تعالى : { وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ

(١) سورة المؤمنون من الآية (٩٦) .

(٢) ديوان القروى : ١ / ٤٢٠ .

(٣) السابق : ١ / ٤٤٩ .

(٤) سورة البقرة من الآية (١٦) ومن الآية (١٧٥) .

(٥) ديوان القروى : ٢ / ٥٤٦ .

(٦) السابق : ٢ / ٩١٢ .

عَمِيقٍ { ^(١) فيقول القروى متأثراً بهذا الأسلوب ومتحدثاً عن هضاب الأردن ^(٢) :

أمه المؤمنون بالفن فوجاً ∴ تلو فوج من كل فج عميق
ومن اقتباساته القرآنية ما جاء في قوله ^(٣) :

قل لمن يؤتى زكاة ∴ ليس يرضى الله بالدون
لن تنالوا البر حتى ∴ تنفقوا مما تحبون

كذلك من الأساليب القرآنية التي تأثر بها القروى قول الله - تعالى - :

{ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ { ^(٤)
فنجده يقول ^(٥) :

من حبة القمح اتخذ مثل الندى ∴ يا من قبضت عن الندى يميناً
هي حبة أعطتك سبع سنابل ∴ لتجود أنت بحبة لسواك
ومن جميل تأثره بالقرآن ما نجده متضمناً معنى قوله تعالى : { يُخَسِّبُهُمُ
الْجَاهِلُ أَغْنَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ { ^(٦) فنراه يقول ^(٧) :

كم أغفلت أيدي الحنان ضحية ∴ حجب الإباء شقاءها بشموخه
سلب الذي مد اليدين رغيغ من ∴ وارى يديه رجوعه في كوخه

(١) سورة الحج من الآية (٢٧) .

(٢) ديوان القروى : ٢ / ٧٥٦ .

(٣) السابق : ٢ / ٨٥٣ .

(٤) سورة البقرة من الآية (٢٦١) .

(٥) ديوان القروى : ٢ / ٨٥٧ .

(٦) سورة البقرة من الآية (٢٧٣) .

(٧) ديوان القروى : ٢ / ٩٠٥ .

كما نجد معنى قوله تعالى: { وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ } ^(١) في قوله ^(٢) :

شكرا على ما سرنى .: وعلى ماساءنى شكرا على شكر
وكما تأثر الشاعر القروى بالأسلوب القرآنى ، تأثر أيضا بأسلوب الحديث
الشريف وذلك في معرض حديثه عن مجموعة من العلماء العرب إذ يقول فيهم ^(٣):

كواكب يهتدى السارى بصحبتهم .: ويأمن الركب من ظلم وإظلام
فهو متأثر بقوله (ﷺ): [أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم] ^(٤)، ومن
تأثره بالحديث الشريف قوله من قصيدة يرثى بها أحد العلماء ^(٥) :
ترثى الذى ورث النبی محمدا .: أو ما سمعت حديثه المشهورا
فهو يشير إلى قوله (ﷺ) : [العلماء ورثة الأنبياء] ^(٦) .
ومن ذلك أيضا قوله ^(٧) :
ولم يوصكم ربى بأن تتصدقوا .: ولكنه أوصى بأن تتصدقوا

(١) سورة البقرة من الآية (١٧٧) .

(٢) ديوان القروى : ١ / ٣٧٧ .

(٣) السابق : ١ / ٩٣ .

(٤) جامع الأصول فى أحاديث الرسول ، محمد الدين بن الأثير الجزرى ، تحقيق / عبد القادر
الأرنؤوط ، كتاب : الفضائل والمناقب ، باب : فى فضائل الصحابة : ٨ / ٥٥٦ ، ط
دار البيان ، ط الأولى .

(٥) ديوان القروى : ١ / ١٠٩ .

(٦) سنن أبى داود ، كتاب : العلم ، باب : الحث على طلب العلم : ٣ / ٣٥٤ ، ط دار
الكتاب العربى ، بيروت .

(٧) ديوان القروى : ٢ / ٩٠٤ .

فبالبر والإحسان صلوا وسلموا .: عليه وبالغفران والرحمة اتقوا

فهو متأثر بقوله (ﷺ) : [اتقوا النار ولو بشق تمرة] ^(١) .

ومن جميل ذلك تأثيره بمعنى قول النبي (ﷺ) : [إن الله لا ينزع العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الرجال، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء] ^(٢)، فقال الشاعر القروى عندما سمع بموت عالم من العلماء ^(٣) :

شهيد العلم روعت النفوسا .: وعطلت الخابر والطروسا
وما كخسارة العلماء خطب .: يحول به نعيم الخلد بوسا
ومن ذلك أيضا قوله ^(٤) :

أود الخير للعالمين جميعا .: وإن أك بين أهلها غريبا
إذا ما نعمة حصلت لغيري .: شكرت كأن لى فيها نصيبا

فهو متأثر بقوله (ﷺ) : [لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه] ^(٥)

وهذه الألفاظ والأساليب والتعبيرات الإسلامية التي وردت في شعر القروى كثيرة، اقتصرنا منها على ما ذكرت ، ومن يرجع إلى شعره يجد الكثير ، مما يدل على أنه قد تأثر بالقرآن الكريم والحديث الشريف ، ولهذا اعتقد أن الشاعر حين يسترفد

(١) صحيح مسلم : ٢ / ٧٠٤ ، باب : قبول الصدقة من الكسب الطيب ، كتاب : الزكاة ،

صحيح البخارى : ٢ / ٥١٣ ، كتاب : الزكاة .

(٢) السنن الكبرى للبيهقى، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، كتاب: آداب القاضى، باب: من أفتى

أو قضى بالجهل: ١٠/ ١١٦، ط مكتبة دار الباز، مكة ١٤١٤هـ.

(٣) ديوان القروى : ٢ / ٦٩٦ .

(٤) ديوان القروى : ٢ / ٩٥٩ .

(٥) صحيح البخارى : ١ / ٢٩ ، كتاب : الإيمان ، وصحيح وصايا الرسول للأستاذ / سعيد

يوسف أبو عزيز : ١ / ١٠٩ .

القرآن الكريم والحديث الشريف يصدر فى ذلك عن إيمان بقداستهما ، وفهم لمعانيهما ، ووعى بدلالاتهما ، ومن ثم كان لاقتراب الشاعر القروى من اللفظ القرآنى وترسمه لطرائق تعبيره وتعبير الحديث الشريف - وهما قمة الفصاحة والبلاغة - قد أكسب شعره دلالات جديدة ، وأضاف إلى شعره من السمو الفنى ما لا يمكن أن تضيفه أية اقتباسات أخرى من التراث التاريخى ، أو الأسطورى ، أو الشعبى .

ثانيا : أثر الإسلام فى الصورة

الصورة الشعرية هى أحد مقومات البناء الفنى للقصيدة الشعرية ، حيث تتكون الصورة من المعانى والأفكار والمشاعر بما تشتمل عليه من لفظ وأسلوب وروابط ومجازات وخيال وموسيقا ، بشرط أن تنقل مشاعر الشاعر وعواطفه ووجدانه نقلا حيا قويا ومؤثرا ... (١) .

فالصورة تعبير عن وجدان الشاعر يرمز بها للواقع كما يتخيله ، فيرسم لنا أحاسيسه ومشاعره تجاه الأحداث على لوحة الفن الشعرى . وإذا ما جئنا إلى الشاعر القروى نجده يترسم صورا فى شعره استوحى بعضها من القرآن الكريم ، ومن الحديث النبوى الشريف ، نذكر منها على سبيل المثال ما جاء فى قوله (٢) :

أم كيف داوود تلا زموره . . . سحرا وانطق عوده وربابه
فهو يرسم صورة لسيدنا داوود (عليه السلام) وهو يسبح الله - تعالى - ويترنم

(١) تراجع : ظاهرة الخيال فى الشعر العربى ، د / تمساح على أحمد نخيلة ، مجلة كلية اللغة

العربية بأسبوط ، ص ٢٢٦ ، العدد الرابع عشر ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

(٢) ديوان القروى : ١ / ٥٩ .

بصوت عذب ، فىأسر القلوب والألباب ، بل ويشاركه فى ذلك جميع من حوله حتى يكاد ينطق العود والرباب ، وكأنه سحر .

فهذه الصورة التى رسمها الشاعر القروى قد استوحاها من القرآن الكريم التى وردت فى قوله تعالى : { وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ } (١) ، ومن قوله تعالى : { وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ } (٢) .

كذلك من الصور التى رسمها القروى واستوحى تراكييها من القرآن الكريم صورة المرأة الآية التى جاءت إلى النبى (ﷺ) تشكو زوجها وتجادله فى ذلك ، والسيدة عائشة (رضى الله عنها) فى ناحية من البيت ، ولا تكاد تسمع ما تقوله تلك المرأة التى تخفى شكواها فى عزة وإباء ، حيث يقول الله تعالى فى ذلك : { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } (٣) ، وقد صور الشاعر القروى تلك الصورة فى بيته الذى يقول فيه (٤) :

وعزة وإباء قلما رويًا .: عن غير عائشة فى سورة الغضب

ومن تلك الصور التى استوحاها القروى من القرآن الكريم والحديث الشريف صورة المحسن الذى يقابل السيئة بالحسنة ، إذ يقول (٥) :

خاطب وحوش أوربة بلسانهم .: واذا خسر لسان الحب للإنسان

(١) سورة ص الآيات (١٧ : ١٩) .

(٢) سورة الأنبياء من الآية (٧٩) .

(٣) سورة المجادلة الآية (١) .

(٤) ديوان القروى : ١ / ٨٢ .

(٥) السابق : ١ / ٢٠٤

أحسن إليهم بالإساءة إنما .: ترويض ذى ناب من الإحسان
 فلا شك أن هذه الصورة مستقاة من ينبوع القرآن الكريم والحديث
 الشريف ، حيث يقول الله تعالى : { ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ } ^(١) ويقول
 أيضا: { ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } ^(٢).
 ويقول النبي (ﷺ) : [خالق الناس بخلق حسن] ^(٣) .
 ومن الصور التي استوحاها القروى من القرآن الكريم ، صورة الفقراء
 المعوزين الذين لا يسألون الناس ، ويتعففون ويظن أنهم أغنياء في حين أن الذين
 يسألون الناس حاجاتهم يسلبون حقوق الفقراء المتعففين، وقد صورهم القرآن
 الكريم فقال عنهم: { يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ } ^(٤).
 وقد رسم الشاعر القروى تلك الصورة في قوله ^(٥) :
 كم أغفلت أيدى الحنان ضحية .: حجب الإباء شقاءها بشموخه
 سلب الذى مد اليدين رغيف من .: وارى يديه رجوعه في كوخه
 ومن الصور التي استوحاها من الحديث الشريف ، صورة علماء في هيئة
 كواكب يهتدى بهم في غياهب ظلمات الجهل إذ يقول ^(٦) :
 كواكب يهتدى السارى بصحبتهم .: ويأمن الركب من ظلم وإظلام

(١) سورة المؤمنون من الآية (٩٦) .

(٢) سورة فصلت من الآية (٣٤) .

(٣) سنن الترمذى ، تحقيق / أحمد محمد شاكر وآخرون ، كتاب : البر والصلة ، باب : معاشره

الناس : ٤ / ٣٥٥ ، ط دار إحياء التراث العربى ، بيروت .

(٤) سورة البقرة من الآية (٢٧٣) .

(٥) ديوان القروى : ٢ / ٩٠٥ .

(٦) السابق : ١ / ٩٣ .

فهذه الصورة مستوحاة من حديث النبي (ﷺ) الذى يقول فيه
[أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم] ^(١).

هذا .. وللشاعر القروى صوراً غير قليلة استوحاها من القرآن الكريم
والحديث الشريف فى مقامات مختلفة من أغراض شعره ، والمقام لا يتسع لذكر
الكثير منها ، وسأكتفى بما ذكرت ؛ لأبين أن القروى قد تأثر بالإسلام فى صوره
فجاءت معبرة عن أغراضه ، مصيبة للهدف الذى يسعى إليه .

ثالثاً : أثر الإسلام فى الموسيقى

موسيقا الشعر عنصر من عناصر الصياغة ، له تأثيره فى النفس ؛ لأنه يساعد
على أن تصل إليها الأفكار والمشاعر فى صورة صوتية تأنس بها وتفتح لها ، وتجذب
فيها من المتعة ما لا تجده فى الكلام العادى ، مجرد من هذه الموسيقى ، إذ منذ أن
كان الشعر كانت الموسيقى عنصراً جوهرياً فيه ^(٢).

وإذا ما جئنا إلى الشاعر القروى نجد أنه قد تأثر بالموسيقا القرآنية تأثراً ليس
بالقليل سواء كانت خارجية أم داخلية ، فحينما قال ^(٣) :

أنا راضى بنعمة الله فى خلقى . مديع فضل الغنى الحميد

فالموسيقا الخارجية هنا الممثلة فى القافية فى قوله " حميد " نجدها مستوحاة من
الموسيقا القرآنية الواردة فى تذييل كثير من الآيات القرآنية ، حيث يقول
سبحانه : { لِلّٰهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ } ^(٤) ،

(١) سبق تخريجه .

(٢) ينظر : الاتجاه الإسلامى فى الشعر المصرى المحافظ ، د / نبيل سليمان طبوشة ، ص ٢٦٢ ،
ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٣) ديوان القروى : ٢ / ٨٥٢ .

(٤) سورة لقمان الآية (٢٦) .

ويقول : { وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ } ^(١) ، ويقول : { وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ } ^(٢) ، ويقول : { وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ } ^(٣) ، ويقول : { وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ } ^(٤) .

ومن الموسيقى القرآنية التي وردت في شعر القروى قوله ^(٥) :

أنا في غربة عن الأهل ولكن ∴ عنك يا رب يستحيل اغتراب
زدت حلما حتى حسبتك ترضى ∴ عن ذنوبي وكم يضيع الحساب
فلك الشكر في قصاصي فكم من ∴ خطأ يستفاد منه الصواب
فإذا نظرنا في قافية هذه الأبيات (اغتراب ، صواب ، حساب) نجده قد
تأثر بالموسيقى القرآنية الواردة في تذييل الآيات في سورة " ص " حيث نجد بعضها
على النحو التالي : { حساب ، أواب ، خطاب ، محراب ، أناب ، مناب ،
ألباب ، ... } .

ويقول القروى متأثرا أيضا بالموسيقى القرآنية ^(٦) :

قل لمن يؤتى زكاة ∴ ليس يرضى الله بالدون
لن تنالوا البر حتى ∴ تنفقوا مما تحبون
فإذا نظرنا إلى البيت الأول نجده على نفس الوزن لقوله الله : { لَنْ تَنَالُوا

(١) سورة البقرة من الآية (٢٦٧) .

(٢) سورة الحج من الآية (٦٤) .

(٣) سورة فاطر من الآية (١٥) .

(٤) سورة التغابن من الآية (٦) .

(٥) ديوان القروى : ١ / ٢٣٩ .

(٦) السابق : ٢ / ٨٥٣ .

الْبِرِّ حَتَّى تُفْقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ } ^(١) ، وإذا قطعنا الآية تقطيعاً عروضياً نجدها من مجزوء الرمل ، فهذه موسيقاً قرآنية تلثر بها الشاعر القروى وظهرت جلية في شعره.

ومن الموسيقى القرآنية التي وردت في شعر القروى قوله ^(٢) :

بعث الشهيد ودحرج الحجرا	∴	من قال إني لاجئ كفرا
أنا من فلسطين وهل عجب	∴	إن ثار مظلوم وإن ثارا
يا نسل شيلوخ الألى عرفو	∴	بالشح مسخرة لمن سخرها
رووا مزارعكم بكوثرنا	∴	عما قريب نقطف الثمرا
وندك دولتكم بكل فتى	∴	ينقض كالصاروخ منفجرا
ونعيد تل أبيكم خبرا	∴	للناس لاعينا ولا أثرا
قسما بأمة يعرب قسما	∴	لنعود فاسمع يا زمان ور

فإذا ما نظرنا إلى قافية هذه القصيدة نجدها على النحو التالي : (كفرا ، ثارا ، منفجرا ، أثرا ، ...) .

ونجد الشاعر قد تأثر بتذييل الآيات في سورة الكهف التي جاء تذييل بعض آياتها على النحو التالي : { فمرا ، نفرا ، صبرا ، ذكرا ، إمرا ، عسرا ، أجرا ، كفرا ، ... } .

ويقول القروى متأثراً بالموسيقا القرآنية أيضا ^(٣) :

سفر نهايته سفر	∴	مثل النسيم بلا مقر
ما غادرتنى نكبة	∴	إلا ليعقبها آخر

(١) سورة آل عمران من الآية (٩٢) .

(٢) ديوان القروى : ١ / ١٣١ .

(٣) السابق : / .

هم يزول بمثلـه ∴ كالشوك يترع بالإبر
يا للهوان فقد غدونا ∴ عيرة لمن اعتبر
وطنى ويا لك موطننا ∴ قد مزقته يد الغير
يشقى المقيم فيك ∴ وليس يسلم من هجر
فهو هنا يترسم موسيقا القرآن الكريم في قافية أبياته: (مفر ، آخر ، اعتبر ،
هجر ، إبر ، ...) والتي توافق تذييل الآيات في سورة القمر ، مثل : { القمر ،
مستقر ، منهمر ، قدر ، مقتدر ، مذكر ، ... } .
وإذا نظرنا إلى أبياته التالية وجدنا فيها موسيقا داخلية مستوحاة من القرآن
الكريم إذ يقول ^(١) :

من حبة القمح اتخذ مثل الندى ∴ يا من قبضت عن الندى يماكا
هى حبة أعطتك سبع سنابل ∴ لتجود أنت بحبة لسواكا
فالشاعر موفق في اختيار موسيقاه الداخلية المستوحاة من القرآن الكريم
حيث أحسن اختيار الكلمات التي تؤدي المعنى مثل : (حبة الندى ، سبع سنابل ،
لتجود ، ...) .

(١) السابق : ٢ / ٨٥٧ .

الخاتمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على خير خلق- الله وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين وبعد ...
فهذه الدراسة الأدبية لبيان أثر الإسلام عند الشعراء النصارى في المهجر والتي دارت رحاها حول الشاعر القروى ، تعد حلقة من حلقات الأدب الإسلامى ، فى علوه وسموه وواقعيته .

وقد توصل البحث إلى نتائج كان أهمها ما يلى :

حاول البحث أن يكشف النقاب عما علق فى الأذهان تجاه الشعراء النصارى ، فأنصف وبين أن بعضهم قد تأثر بفكر الإسلام ولغته وثقافته .

• أبرز البحث المؤثرات العامة فى حياة الشاعر القروى من حيث النشأة والروافد التى غدت شاعريته ، وغير ذلك من العوامل المؤثرة فى حياته وشعره وملامح شخصيته .

• كشف البحث النقاب عن المضامين الشعرية التى ظهر أثر الإسلام فيها لدى الشاعر القروى ، حيث تنوعت ما بين صفات إلهية ومناسبات إسلامية وغيبيات إلى غير ذلك من موضوعات ذات صلة بالإسلام .

• أثبت البحث أن الشاعر القروى قد تأثر باللفظة القرآنية ، فأكسب شعره قوة فى الدلالة ، وجمالا فى الصياغة ، وعمقا فى التأثير .

• كذلك تأثر القروى بالأسلوب القرآنى والأسلوب النبوى الشريف فأكسب شعره دلالات جديدة .

• تأثر الشاعر القروى أيضا بالصورة القرآنية والنبوية فى شعره فاتسمت بالوضوح والتأثير فى المتلقى إذ هى مألوفة لدى المجتمع المسلم .

{ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ }

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فهرس المصادر والمراجع

- الاتجاه الإسلامى فى الشعر المصرى المحافظ ، د / نبيل سليمان طبوشة ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- إتمام الأعلام ذيل الأعلام، د / نزار أباطة ، محمد رياض الملاح ، ط دار صادر ، بيروت ، ط الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
- أثر الإسلام فى الشعر العربى الحديث ، د / شلتاع عبود شراد .
- أدبنا وأدباؤنا فى المهاجر الأمريكية ، جورج صيدح ، ط دار العلم للملايين ، بيروت ، ط الثالثة ١٩٦٤م .
- البحث الأدبى ، د / شوقى ضيف ، ط دار المعارف ، ط الرابعة ١٩٧٩م .
- التجديد فى شعر المهجر، محمد مصطفى هدارة، ط القاهرة ١٩٥٧م
- التصوير الفنى فى القرآن الكريم ، سيد قطب ، ط دار الشروق ، ط الرابعة عشر ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
- ثورة الأدب ، محمد حسين هيكل ، ط القاهرة ١٩٣٣م .
- جامع الأصول فى أحاديث الرسول، مجد الدين بن الأثير الجزرى ، تحقيق / عبد القادر الأرئوط ، ط دار البيان ، ط الأولى ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
- حركة التجديد الشعرى فى المهجر بين النظرية والتطبيق ، د / عبد الحكيم بلبع ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م .
- ديوان أوراق الخريف ، ندره حدادة ، ط نيويورك ١٩٤١م .
- ديوان الأيوبيات ، رشيد أيوب ، ط نيويورك ١٩١٦م .
- ديوان إلياس فرحات ، مطبعة سان باولو ١٩٣٢م .
- ديوان إيليا ، ط دار العودة ، بيروت .
- ديوان الشاعر القروى ، رشيد سليم الخورى ، ط دار المسيرة ، بيروت ١٩٧٨م .

- ديوان غنائم الخريف ، رياض المعلوف ، ط ١٩٧٤ م .
- سنن أبي داود ، ط دار الكتاب العربي ، بيروت .
- سنن الترمذى ، تحقيق / احمد محمد شاكر ، ط دار إحياء التراث العربى ، بيروت .
- السنن الكبرى للبيهقى، تحقيق / محمد عبد القادر عطا ، ط مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤ م .
- الصحيحان البخارى ومسلم .
- ظاهرة الخيال في الشعر العربى ، د / تمساح على أحمد نخيلة ، بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بأسبوط ، العدد الرابع عشر ١٤١٤هـ - ١٩٩٤ م .
- في الميزان الجديد ، د / محمد مندور ، ط دار نهضة مصر ، القاهرة ، ط الثالثة ، من دون تاريخ .
- قصة الأدب المهجرى ، د / محمد عبد المنعم خفاجى ، ط دار الكتاب اللبنانى ١٩٨٦ م .
- مقالات وبحوث في الأدب المعاصر ، د / صابر عبد الدايم ، ط دار المعارف ، ط الأولى ١٩٨٣ م .
- موسوعة الشعراء العرب المعاصرين ، نجيب البعيني ، ط دار المناهل ، بيروت ، لبنان ، ط الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م .
- الوحدة الوطنية في شعر القروى ، أ.د / صلاح عبد التواب ، بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة ، العدد الثانى والعشرون ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م .